

جَدَلُ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ بِشَأْنِ نُزُولِ أَوَّلِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ.د. عبد الجبار ناجي
بيت الحكمة-بغداد

فحوى البحث

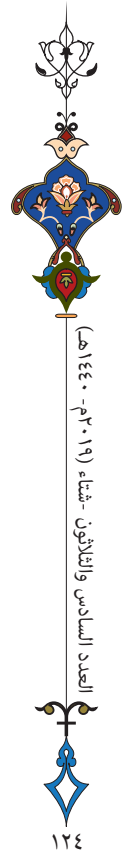
استمر الجدل ودار بين المؤرخين وكُتّاب السيرة النبوية وبين مفسري القرآن الكريم حول ماهي أول سورة نزلت على الرسول ﷺ أي سورة العلق أم سورة القلم أم هي سورة المدثر أم هي الفاتحة...
ويأتي هذا البحث لتقييم الروايات والأسانيد التي خاضت في هذا المضمار ومدى وثاققتها وإمكان الركون إليها.
والسيد البحث في كل ذلك يُؤثر رواية نزول سورة (إقرأ) أولاً، ويعلّق على ذلك بتعليقات علمية مدروسة تبرز أهمية العلم بالقراءة والكتابة كوسيلة لمعرفة الله- سبحانه-.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

البخاري في صحيحه وكما أورده ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، وواقعا فأن هذا الإنموذج هو المتداول بين العلماء من المؤرخين ومفسري القرآن الكريم، لكننا اخترنا ما رواه ابن كثير لأهمية هدفه ومحتواه، فيروي ابن كثير:

«قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي رِوَايَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ ثُمَّ فَرَّ الْوَحْيَ حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَّغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رَعُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكَلِمًا أَوْ فِي بَذْرَةِ جَبَلٍ لَكِي يَلْقَى نَفْسَهُ تَبْدَى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِدَلِّكَ جَأْشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِبَذْرَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أُمْنِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ فَجِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى

إن الجدل الذي نعني به في هذا البحث المتواضع هو جدل يرجع أولا وأخيرا الى اختلاف الرواة الشفاهيين الذين أوصلوا رواياتهم بحسب سلسلة إسناد طويلة أو قصيرة، صحيحة ومتصلة أم ضعيفة ومنكرة أم متروكة أم أحادية أم منقطعة، موقوفة أم مقطوعة أم مدلسة ومضطربة عبر أكثر من أربعة أجيال بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى فترة تدوينها؛ والمهم أنها بقيت بالتصنيف نفسه والذي كانت عليه آنذاك وتروى شفاهيا قبل أن تدون كتابة. فهذه الروايات الشفاهية تعد السبب الرئيس في ظهور الاختلافات في أهم وأخطر مفصل من مفصل تاريخ الإسلام، الى درجة أن اضطرب فيه المتجادلون فيما بينهم الى تفضيل بعضهم هذه الرواية بدلا من تلك كذلك فإنهم اضطروا الى التسليم بعملية تهدف الى التوفيق بين الروايات المختلفة بخصوص أول سورة أنزلها الله تعالى على نبينا الكريم عن طريق الملك جبريل عليه السلام. والإنموذج الأمثل الذي يمثل هذا الجدل وهذا الاختلاف ما يرويه لنا



الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ
فَكَبَّرَ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ قَالَ
ثُمَّ حَمِي الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ فَهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَا
نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ لَا مُطْلَقًا،
ذَلِكَ قَوْلُهُ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ وَقَدْ
ثَبَتَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ
وَاللَّائِقُ حَمَلُ كَلَامِهِ مَا أَمَكْنَ عَلَى مَا قُلْنَاهُ
فَإِنَّ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِ حَمِيءِ
الْمَلِكِ الَّذِي عَرَفَهُ ثَانِيًا بِمَا عَرَفَهُ بِهِ أَوَّلًا إِلَيْهِ.
ثُمَّ قَوْلُهُ: يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ دَلِيلٌ عَلَى
تَقَدُّمِ الْوَحْيِ عَلَى هَذَا الْإِيحَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ
ابْنِ الْمُبَارَكِ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ كِلَاهُمَا
عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ
بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ قَبْلَ
فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فَقُلْتُ وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
فَقَالَ سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ الْقُرْآنِ
أَنْزَلَ قَبْلَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فَقُلْتُ وَاقْرَأْ
بِاسْمِ رَبِّكَ فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي
جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي
نَزَلَتْ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ
بَيْنَ يَدَيَّ وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي

فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ
عَلَى الْعَرْشِ فِي الْمَوَاءِ فَأَخَذَنِي رِعْدَةٌ -
أَوْ قَالَ وَحْشَةٌ - فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَأَمَرْتُهُمْ
فَدَثَرُونِي فَنَزَلَ اللَّهُ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ حَتَّى بَلَغَ
وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ - فَإِذَا الْمَلِكُ
الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ » وَهَذَا صَرِيحٌ
فِي تَقَدُّمِ إِيْتَانِهِ إِلَيْهِ وَإِنْزَالِهِ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمِنْهُمْ زَعَمَ
أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ سُورَةُ
وَالْضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ
رَبُّكَ وَمَا قَلَى إِلَى آخِرِهَا. قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ. وَقَالَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: وَهَذَا كَبَّرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِهَا فَرَحًا وَهُوَ قَوْلُ بَعِيدُ
يُرَدُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ صَاحِبِي الصَّحِيحِ
مِنْ أَنَّ أَوَّلَ الْقُرْآنِ نَزُّوْلاً بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ:
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَلَكِنْ نَزَلَتْ سُورَةُ
وَالْضُّحَى بَعْدَ فِتْرَةٍ أُخْرَى كَانَتْ لَيْلِي
يَسِيرَةً كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ
حَدِيثِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ
مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا تَرَكَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... (المصباح)

وحول هذا الموضوع روى يونس بن بكير وهو راوية سيرة ابن إسحاق رواية متزامنة مع ما سبق ذكره من اختلاف بشأن السورة الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ ونصّها: «حدثنا أحمد: نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبي ميسرة عمر بن شريحيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي أسمع نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر، فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فو الله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر رحمه الله. وليس رسول الله ﷺ، ثم ذكرت خديجة حديثه له، فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده: فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه فقصا عليه، فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، يا محمد، فانطلق هارباً في الأرض، فقال له: لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول،

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وَبِهَذَا الْأَمْرِ حَصَلَ الْإِرْسَالُ إِلَى النَّاسِ وَبِالْأَوَّلِ حَصَلَتِ النَّبُوءَةُ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ كَانَتْ مُدَّةُ الْفَتْرَةِ قَرِيباً مِنْ سِتِّينَ أَوْ سِتِّينَ وَنِصْفًا، وَالظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهَا الْمُدَّةُ الَّتِي اقْتَرَنَ مَعَهُ مِيكَائِيلُ كَمَا قَالَ الشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ [بِالْمُنَاسِبَةِ هُنَا نَحْتَاجُ إِلَى تَصْحِيحِ قَوْلِ ابْنِ كَثِيرٍ فَالَّذِي قَالَهُ عَكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَالْمُؤَلِّفُونَ الشَّيْعَةُ أَنَّ الَّذِي اقْتَرَنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْذُ أَنْ كَانَ عَمْرُهُ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً هُوَ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ مِيكَائِيلُ. الْبَاحِثُ]، وَلَا يَنْفِي هَذَا تَقَدُّمُ إِحْيَاءِ جِبْرِيلَ إِلَيْهِ أَوَّلًا أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ثُمَّ اقْتَرَنَ بِهِ جِبْرِيلُ بَعْدَ نَزُولِ ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ (١) فَرَفَانْدَرُ (٢) وَرَبُّكَ فَكَبَّرَ (٣) وَيَبَاكَ فَطَهَّرَ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ بَعْدَ هَذَا وَتَتَابَعَ -أَيُّ تَدَارَكَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ- وَقَامَ حِينَئِذٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّسَالَةِ أَتَمَّ الْقِيَامَ وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْعَزْمِ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ^(١).

ثم اتتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْفَلَمِيتِ ﴿حَتَّى﴾ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿قُلْ﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٢.

والحقيقة إن الرواية التي تشير الى أن سورة (أقرأ باسم ربك) هي أول ما أنزله الله تعالى على رسوله الكريم قد أوردها محمد ابن إسحاق على وفق السلسلة السندية الآتية «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ عُيَيْدٌ. [ويجدر ذكره أن وهب بن كيسان هو، بحسب شمس الدين الذهبي «الفقيه أبو نعيم الأسدي المدني المؤدب من موالي آل الزبير بن العوام وتوفي في سنة ١٢٧ هجرية، محدث ثقة، ولقي عدة من أصحاب النبي ﷺ ولم تكن له فتوى، وكان من سكان المدينة، بينما كان ابن إسحاق قد توفي في سنة ١٥٠ هجرية، فهو غير متعاصر مع ابن إسحاق ويسبقه بجيل تقريبا وربما هناك راوية آخر بينهما

(٢) ينظر سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م جزء ١ ص ١٣٢ - ١٣٣.

قد أغفله ابن إسحاق؛ أما عبيد فيعتقد أنه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهو من صغار التابعين. وقد سمع من سالم بن عبد الله، والزهرري، ووهب بن كيسان، وتوفي في سنة ١٤٧ هجرية، أي أنه معاصر لابن إسحاق (٣). ورواية وهب بن كيسان زبيرية الاتجاه والمحتوى فهو من موالي الزبير بن العوام وتذهب هذه الرواية بالاتجاه نفسه والذي ذهبت اليه رواية ابن شهاب الزهري + عروة + عائشة فجاء فيها ما نصّه «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعَمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ جَوَارِهِ، الْكَعْبَةَ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِيهِ مَا

(٣) ينظر ابن عبد البر؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مكتبة ابن تيمية جزء ٢٣ ص ٩؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م جزء ص ٢٢٦؛ وعن عبيد بن عمر جزء ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٧.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرْ، فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَأْسِي حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، فَبَلَغُوا أَعْلَى مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضِيفًا إِلَيْهَا»^(٤).

والغريب أن ابن إسحاق قد اعتمد الرواية الشفاهية عن وهب بن كيسان الذي حدثه بها في حين أنه قد روى

(٤) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م جزء ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنْ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا، وَذَلِكَ الشَّهْرُ (شَهْرُ) رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِحَوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ، وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، وَأَنَا نَائِمٌ، بَنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَنَنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَنَنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَنَنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. قَالَ: فَقَرَأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَى فَأَنْصَرَفَ عَنِّي وَهَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ

مسألة «أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ
الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ» وقدمها على تلك الرواية
التي يتكرر ذكر سندها عند المؤرخين
والمفسرين أي بإسناد ابن شهاب الزهري
عن عروة بن الزبير عن عائشة والرواية
نصها «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ
عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ
[بمعنى حدثت عروة] فتذهب الرواية
إلى: أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ
النُّبُوَّةِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ
بِهِ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ.
قَالَتْ: وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوةَ، فَلَمْ
يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ»،
ثم يتوقف ابن إسحاق عن ذكر ما تبقى
من الرواية الأصلية التي هي في الأصل
رواية السيدة عائشة وهي إلى حد ما
تقترب في تفصيلاتها مع الرواية التي
أوردها وهب بن كيسان فلماذا فضل ابن
إسحاق رواية وهب بن كيسان في سندها
عن عبيد بن عمر بدلا منها ومن دون أن
يذكر رواية السيدة عائشة على الرغم من
أنه قد اعتمدها في روايتها الأولى وهو

قوله «أول ما بدى به رسول الله ﷺ الرؤيا
الصادقة...؟»^(٥).

وعلى أية حال فهناك مسألة جوهرية
في بناء السلسلة السندية التي أوردها ابن
إسحاق ألا وهي إن الحلقة النهائية للرواية
هو عبيد بن عمر بن الخطاب، وهو من
صغار التابعين، كما تم ذكره، بمعنى إنه
لا يتمتع بميزة الصحبة، صحبة رسول
الله فلم يسمع من الرسول ولم يتحدث
معه ﷺ، فهي رواية مرسلة لا يعرف
مصدرها الأساس ولعل من الممكن
القول هنا بأن عبيد بن عمر قد ألغى
السند الأصلي للرواية الأصلية أي السند
المعروف، الزهري عن عروة عن عائشة،
لا سيما وإنه كان متعاصرا مع الزهري
المتوفى سنة ١٢٤ هجرية.

ومهما يكن فإن البخاري قد اعتمد
الرواية عن السيدة عائشة مع أن سندها
الذي يختلف عنده فروايتها كانت عن
طريق يحيى بن بكير الذي حسبها يبدو

(٥) [ينظر ابن إسحاق؛ سيرة ابن إسحاق
(تحقيق: د. سهيل زكار الناشر: دار
الفكر-بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨ هـ/
١٩٧٨ م جزء ١ ص ١٣٢-١٣٣].

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

روایتنا هذه قد جاءت عن الليث؛ ومع أن موقف ابن عدي كان، كما يبدو إيجابياً إلا أن النسائي قال عنه أنه ضعيف، وعقب الذهبي على قول النسائي قائلاً «غزير العلم، عارفاً بالحديث، وأيام الناس، بصيراً بالفتوى، صادقاً، ديناً، وما أدري ما لاح للنسائي منه حتى ضعفه»، وقال مرة: ليس بثقة. وهذا جرح مردود فقد احتج به الشيخان، وما علمت له حديثاً منكراً، وقال عنه أبو حاتم «يكتب حديثه ولا يحتج به، وكان يفهم هذا الشأن». وقد روى عنه البخاري^(٦). فيحيى بن أبي بكير هذا كان جار الليث بن سعد ويعدّ أثبت الناس عند الليث. وإن الليث بن سعد هو الذي تحدث برواية الزهري إلى

(٦) ينظر النووي؛ أبو زكريا محيي الدين؛ تهذيب الأسماء واللغات؛ عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية دار الكتب العلمية، بيروت - جزء ٢ ص ١٥٥؛ المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال [ترجمته برقم ٦٨٥٨ جزء ٣١ ص ٤٠١ - ٤٠٤؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، طبعة مؤسسة الرسالة ٢٠٠٢ جزء ١٠ ص ٦١٣ - ٦١٥.

كان معاصراً للبخاري وهو الذي حدّث البخاري بها فيقول «حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة: أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة... الخ». على الرغم من أن الرواية السابقة الذكر هي رواية زبيرية ولكنها كانت مستندة في نهاية حلقتها الفاصلة إلى عبيد بن عمر بن الخطاب وكان من صغار التابعين؛ غير أن هذه الرواية قد استند فيها البخاري على يحيى بن أبي بكير الذي تحدّث مع البخاري والذي يعدّ هو الراوية الذي عمّم رواية سورة (أقرأ باسم ربك) بكونها أول سورة نزلت على النبي ﷺ. إنه أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي المتوفى في سنة ٢٣١ هجرية وهو أحد العلماء ورواة الحديث عند أهل السنّة؛ وكان فقيه القضاء بمصر في زمانه. ومن بين أقوال علماء الجرح والتعديل فيه قول لابن عدي: «كان (ابن بكير) جار الليث بن سعد، وهو أثبت الناس في الليث، وعنده عن الليث ما ليس عند أحد». وبالفعل فإن

يحيى بن أبي بكير، وقيل في وصف الليث بأنه «الحافظُ العالمُ أبو الحارثِ الليثُ بنُ سعدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الفهميِّ القلقشندي المتوفى في سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م) وهو فقيه ومحدث وإمام أهل مصر في زمانه»، وهو من تابعي التابعين أيضا وتعدّ رواياته عن عائشة بنت أبي بكر من أعلى روايات الحديث النبوي إسنادا، وقد سمع الزهري وهشام بن عروة بن الزبير. وعرف أنه روى عن نافع حديثا بينه وبينه فيه أربعة أنفس، وكذلك فعل في شيخه ابن شهاب، روى غير حديث بينه وبينه فيه ثلاثة رجال»، وكان ثقة كثير الحديث وصحيحه^(٧). وأما الشخصية الثانية التي وثّقها يحيى بن أبي بكير في هذه الرواية المهمة جدا في التطرق الى أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فهو عقيل بن خالد الأيلي، صاحب الزهري، وكان ثقة.

(٧) ينظر النووي؛ تهذيب الأسماء واللغات، جزء ٢ ص ٧٣ - ٧٤؛ الذهبي؛ وهناك ترجمة مفصلة عن الليث عند المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٠، جزء ٢٤ ص ٢٥٥ - ٢٧٩؛ سير أعلام النبلاء جزء ٨ ص ١٣٩.

وقد حدّث عن ابن شهاب فأكثر وجود، وحدّث عن غيره من الرواة والعلماء وتوفي في سنة ١٤٤ هجرية؛ وقال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: أثبت الناس في الزهري: مالك بن أنس، ومعمر، ويونس، وعقيل، وشعيب بن أبي حمزة، وسفيان بن عيينة^(٨).

وفي الوقت نفسه فإن ابن كثير ينقل رواية البخاري حين يتحدث عن تفسير سورة المدثر فيقول ما نصّه:-

«ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير [يلاحظ إن هذا الراوي ينبغي أن لا يخلط بيحيى بن أبي بكير سالف الذكر في رواية البخاري نفسه حول نزول سورة العلق وكونها أول سورة نزلت على صدر رسول الله ﷺ]، عن أبي سلمة [وأحيانا سلمة فقط خطأ واسمه عبد الله وقيل إسماعيل أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف المتوفى في سنة ٩٤ هـ، وهو من

(٨) ينظر المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف ن مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٠ م. ن؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ جزء ٦ ص ٣٠٢.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

يقول: أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: (يا أيها المدثر) قلت: يقولون: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، وقلت له مثل ما قلت لي، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء

١٤٢-١٤٣؛ المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠ (رقم ٨٧١) جزء ٤ ص ٤٤٣-٤٥٤ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء جزء ٣ ص ١٩٠-١٩٤.

التابعين، وأحد رواة الحديث النبوي، وهو في الطبقة الثانية من المدنيين، وأحد فقهاء المدينة السبعة، ولم تكن له صحبة، غير أن أمه تماضر بنت الأصبع بن عمرو قد أدركت حياة النبي، وكان أبو سلمة صبيا عند وفاة والده، وقد أرضعته أم كلثوم، عندئذ تكون عائشة بنت أبي بكر خالته من الرضاعة. وهو بالفعل قد روى عن السيدة عائشة وعن عروة بن الزبير وليس هنالك ما يؤشر إلى أنه قد روى عن الزهري والعكس صحيح فالزهري ويحيى بن أبي كثير وهشام بن عروة روى عن أبي سلمة^(٩)، عن جابر [قليل إنه توفي في سنة ٧٨ هجرية عن عمر ناهز ٩٤ سنة وكان قد عمي في آخر عمره^(١٠)]. أنه كان

(٩) ينظر النووي؛ أبو زكريا محيي الدين (المتوفى: ٦٧٦هـ)؛ تهذيب الأسماء واللغات، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - جزء ٢ ص ٢٤٠-٢٤١؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، جزء ٤ ص ٢٨٧-٢٩٢.

(١٠) النووي؛ المصدر أعلاه جزء ١ ص

باردا. قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا
قال: فنزلت ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۝١ قُرْآنُذَر ۝٢﴾
وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿١﴾ هكذا ساقه من هذا الوجه.
وقد رواه مسلم من طريق عقيل، عن
ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني
جابر بن عبد الله: أنه سمع رسول الله ﷺ
يحدث عن فترة الوحي: «فينا أنا أمشي إذ
سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري
قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء
قاعد على كرسي بين السماء والأرض،
فجثت منه حتى هويت إلى الأرض،
فجئت إلى أهلي، فقلت: زملوني زملوني،
فزملوني، فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۝١ قُرْآنُذَر ۝٢﴾
فَأَنْذِرْ ﴿١﴾ إلى: (فاهجر) ثم حمي الوحي
وتتابع». هذا لفظ البخاري وهذا السياق
هو المحفوظ، وهو يقتضي أنه قد نزل
الوحي قبل هذا، لقوله: «إذا الملك الذي
جاءني بحراء»، وهو جبريل حين أتاه
بقوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم إنه
حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد
هذا. ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد

فترة الوحي هذه السورة، كما قال الإمام
أحمد بن حنبل (١١).
فالذي سبقت الإشارة إليه في أعلاه،
إذن، يجعلنا أمام مجموعتين من الروايات
المتعلقة بمسألة إنزال أول سورة على
رسول الله ﷺ، المجموعة السنية الأولى
تلك التي أصبحت هي السائدة والمهيمنة
على تفكيرنا ومناهجنا وكتابتنا بشأن
موضوع المبعث النبوي الشريف؛ وهي
التي عبرنا عنها بالرواية الزيرية وبقصّة
غار حراء وبضمنها رواية الزهري +
وهب بن كيسان + عبيد بن عمر بن
الخطاب باعتبار أن وهبا كان من موالي
آل الزبير وأن عبيد بن عمر كان من
صغار التابعين ولا يصلح أن يكون هو
الحلقة الأساسية التي تروي عن النبي ﷺ
والواقع إنه بالفعل قد عوّل على رواية
عروة + عائشة. تلك التي تقول أن سورة

(١١) ينظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم
تفسير القرآن العظيم (تحقيق: محمد
حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب
العلمية، منشورات محمد علي بيضون -
بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ جزء ٨
ص ٢٧١).

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... **المصباح** •

المكرمة بغية التأكد من صحة أحاديث كان قد سمعها عن رسول الله ﷺ. وكان الصحابي مصدرا إذ روى عنه الكثير جدا من الرجال بحسب قائمة النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) والمزي في كتابه (تهذيب الكمال) ومن بينهم ابو سلمة بن عبد الرحمن ووهب بن كيسان ويحيى بن أبي كثير وغيرهم. وهذه المجموعة السندية، الثانية، هي التي تروي أن سورة (يا أيها المدثر) هي السورة الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم^(١٢). وعلى الرغم من أن المجموعة السندية الثانية هي رواية غير زبيرية وتعدّ نقيضا للرواية الزبيرية التي تنصّ على أن سورة العلق أو الخمس آيات منها هي

(١٢) ينظر ابن الأثير؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة (تحقيق؛ علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م جزء ١ ص ٤٩٢؛ المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال (تحقيق؛ د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ رقم الحديث ٨٧١ جزء ٤ ص ٤٤٣ - ٤٥٤).

(أقرأ باسم ربك) هي السورة الأولى التي أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم.

والمجموعة السندية هذه هي التي وقفت قبالة المجموعة الثانية التي سلسلة سندها ترجع الى أبي سلمة (عبد الله أو إسماعيل) بن عبد الرحمن بن عوف المتوفى سنة ٩٤ هجرية عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وفي الوقت الذي توفي فيه الصحابي جابر الذي يمثل الحلقة النهائية للمجموعة وصولا الى رسول الله ﷺ سنة ٧٨ هجرية عن عمر يناهز ٩٤ سنة بمعنى أن أبا سلمة وهو بالفعل كان من بين الذين روى عن الصحابي جابر ولعله قد عاصر الصحابي، وأنه قد سأل جابر الأنصاري في المدينة المنورة وهو في آخر عمره عن أول سورة أنزلها الله تعالى على النبي الكريم. والمعروف إن الصحابي جابر قد تفرّغ للجلوس في المسجد النبوي في المدينة المنورة يعلم الناس، وكان من المكثرين في رواية الحديث النبوي، فكانت له حلقة في المسجد يلتفت حولها الناس ليسمعوا منه الحديث النبوي وليستفتونه. فضلا عن ذلك فإنه قام برحلة الى مكة

الآيات الأولى التي نزلت عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أن الزهري بروايته عن طريق روايته عقيل بن خالد الأيلي (صاحب الزهري) الذي يعدّ هو الآخر من الرواة الشفاهيين الذين رَوَوْا عن الصحابي جابر بن عبد الله، قد استثمر هذه السلسلة السندية في روايته التي خرجها مسلم في صحيحه تلك التي أدّت إلى أن تنحرف رواية الصحابي جابر بن عبد الله التي تؤشر إلى أن سورة (يا أيها المدثر) قد سبقت سورة العلق في النزول وذلك بحسب الصيغة الآتية:-

«قال البخاري: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُلْتُ: يَقُولُونَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِي فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: «جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي

فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثُرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا - قَالَ - فَدَثُرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا - قَالَ - فَتَرَلْتُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ» هَكَذَا سَأَفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أُمَشِّي [يلاحظ في النص الأصلي لرواية الصحابي جابر إنه يقول] جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ «ولم يقل فبينما أمشي» إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ [هاهنا أيضا يخالف الزهري نصّ تعبير الصحابي] فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ [ولم ترد هذه الملاحظة في تعبير الصحابي إنّما أقحمها الزهري] قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَثَّتْ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَرَمَلُونِي [في أصل الرواية دثروني وليس زملوني التي

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... **المصباح**

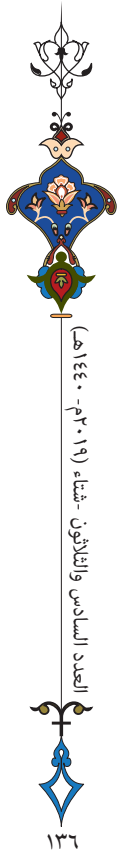
بِحِرَاءِ الْآنَ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ فَجِثِثَ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى
الْأَرْضِ، فَجِثْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ هُمْ زَمَلُونِي
زَمَلُونِي فَزَمَلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا
الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ثُمَّ حَمِي الْوَحْيُ تَتَابَعَ.
أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ» (١٣).

وليّ ثمة ملاحظات على ما ورد
في المجموعتين المشار إليهما في أعلاه
وكالاتي:- لا شك أن ما تشير اليه
المجموعة السندية الأولى قد احتلّ المكانة
الأولى، كما ذكرنا، للتعبير عن الحقيقة بأن
الآيات الخمس الأولى من سورة العلق
هي الآيات التي نزلت في غار حراء
على رسول الله ﷺ. وهي بالفعل تتواءم
وما درجت عليه قصة الغار بحسب
هذه الرواية التي مرّ ذكرها، وأقصد
نزول الوحي والنبى ﷺ نائم وما قام
به الملك جبرئيل عليه السلام للنبي من أنه «غَطَّ
الرسول» ثلاث مرات قائلا «اقرأ»، طبعاً
هذه المعلومة مقصورة على هذه الرواية

(١٣) ينظر ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم جزء ٨
ص ٢٧١-٢٧٢.

تشير الى نزول سورة المزمل،]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ - إِلَى - فَاهْجُرْ.
قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ الْأَوْثَانُ - ثُمَّ حَمِي
الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ، هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ، وَهَذَا
السِّيَاقُ هُوَ الْمُحْفُوظُ وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ
نَزَلَ الْوَحْيُ قَبْلَ هَذَا لِقَوْلِهِ: «فَإِذَا الْمَلِكُ
الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ» وَهُوَ جَبْرِيلُ حِينَ
أَتَاهُ بِقَوْلِهِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
ثُمَّ إِنَّهُ حَصَلَ بَعْدَ هَذَا فِتْرَةٌ ثُمَّ نَزَلَ الْمَلِكُ
بَعْدَ هَذَا.

وَوَجْهُ الْجَمْعِ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَزَلَ بَعْدَ
فِتْرَةِ الْوَحْيِ هَذِهِ السُّورَةُ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ
أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا كَيْثٌ، حَدَّثَنَا
عُقَيْلٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا
سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ
بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فِتْرَةً [ملاحظة مهمة
أفحمها الزهري وهي «ثم فتر الوحي»
فليس في رواية الصحابي هذا النص] فَبَيْنَا
أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ
بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي



فحسب ولم تذكر - أقصد ما قام به الملك من غطّ النبي ثلاث مرات - في الروايات الأخرى التي رشحت سوراً أخرى بدلاً من سورة العلق أنها نزلت أولاً على النبي ﷺ نظير: (سورة المدثر) أو سورة (ن والقلم) أو سورة (الفاتحة) أو سورة (الضحى) أو سورة (المزمل). وهي الرواية التي اتفق عليها الرواة الشفاهيون عموماً عروة بن الزبير وأخوه وابنه هشام بن عروة والموالون لعروة ولآل الزبير وابن عروة الآخر عثمان كان أيضاً من رواة السيرة وله ابن ثالث هو عبد الله الذي يكنى به كان راوية لرواية السيرة عن أبيه وان محمداً هو أيضاً قد روى عن أبيه هذه الرواية. إما عن غير أبناء عروة فهناك محمد بن جعفر وهو ابن أخ عروة بن الزبير، وجعفر بن الزبير أخو عروة وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ويحيى بن عباد بن حمزة كذلك علينا ان لا ننسى ذكر عبد الله بن الزبير ومصعب الزبيري عمّ الزبير بن بكار مؤلف الموفقيات الكتاب المعروف الذي تضمن أخباراً كثيرة عن السيرة وهناك عمر بن عبد الله

ابن أخ عروة، وعاصم بن المنذر بن الزبير وقد سمع عن عروة وروى عنه وهناك المنذر بن عبيد الله بن المنذر بن الزبير الذي روى عن هشام بن عروة ومن موالي آل الزبير نذكر وهب بن كيسان المعروف بوهب القرشي المدني المعلم وقد روى عن أسماء بنت أبي بكر وروى أيضاً عن عروة وان هشاماً بن عروة قد روى عنه وهناك يزيد بن رومان مولى عروة وروى عن عروة وعن عبد الله بن الزبير وروى عنه هشام بن عروة وليزيد أخ هو عبد الله رومان كان يروي عن عروة وقد قدم محمد بن سعد في الطبقات الكبرى وصفاً عاماً لنفر من موالي آل الزبير في عدة أخبار تتعلق بالسيرة النبوية^(١٤).

ومع ذلك فلم يظهر أي اختلاف جوهري بينهم جميعاً في متن الرواية وتفصيلاتها الدقيقة، وأعني الرواية

(١٤) ينظر الطبقات جزء ٣ ص ١٠٢ - ١٠٣، ج ٥ ص ١٧٥؛ طبقات خليفة بن خياط (تحقيق د. سهيل زكار ص ٩٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٥، كذلك تاريخ خليفة بن خياط (تحقيق د. سهيل زكار بيروت ١٤١٤هـ) ص ٩٥، ١٠٣، ٢١٥.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

الزبيرية. وملاحظتي على هذه الرواية تتركز على الآتي:-

- المتفق عليه في تاريخ المبعث النبوي الشريف، إن كان في الروايات الزبيرية أم في الروايات غير الزبيرية، فإن الملك جبرئيل عليه السلام بعد أن بشر النبي بالرسالة الآلهية أوعز له بالكتمان وأن لا يبدأ بالإعلان عنها، ولهذا فإن الدعوة كانت سرية ومحصورة أولا في بيت النبوة حصرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله مع زوجته والإمام علي ومولاه زيد وجعفر بن أبي طالب يصلون في بيت الرسول أوفي شعاب الجبال بعيدا عن أنظار قريش. وورد أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يصلي بعد أن يطوف بالكعبة على عادته المعتادة يوميا، وكان يقرأ ما تيسر له من القرآن الكريم، فهنا كانت ردود فعل المشركين المكيين على ما كان ليقروهم صلى الله عليه وآله في الصلاة، فكانت حادثة أبي جهل من أولى هذه الردود القرشية إذ أقسم بمعبوده الوثن فقال «لئن رأيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَّانٌ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَالَ: «لئن فعل لَأَخَذْتُهُ الْمَلَأَكَةَ»،

فقال الله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ١﴾

عَبْدًا إِذَا صَلَّى ٢ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ لَعْنَهُ

اللَّهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ

الْبَيْتِ فَوَعظه تَعَالَى بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ

أَوَّلًا فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى

أَيُّ فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ

عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فَعْلِهِ أَوْ أَمَرَ

بِالتَّقْوَى، وَأَنْتَ تَرْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى

صَلَاتِهِ ٣. هنا نزلت على النبي عجز

سورة العلق وهو بسم الله الرحمن

الرحيم ﴿كَلَّا إِنْ إِلَّا نَسَنَ لَيْطَعَى ٤﴾ أَنْ

رَأَاهُ اسْتَعَى ٥ إِنْ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ٦ أَرَأَيْتَ

الَّذِي يَنْهَى ٧ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ٨ أَرَأَيْتَ إِنْ

كَانَ عَلَى الْهُدَى ٩ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ١٠ أَرَأَيْتَ

إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١١ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ ١٢ كَلَّا

لَئِنْ لَمْ يَنْهَ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٣ نَاصِيَةٍ كَذِبِيٍّ

خَاطِئَةٍ ١٤ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٥ سَدَّعَ الرَّبَابِيَةَ

١٦ كَلَّا لَا نُطِيعُ مَا سَجَدُوا وَقَرَّبَ ١٧. وهي

آيات من الله تعالى ردًا على ما هدف

إليه أبو جهل المخزومي. بمعنى

(١٥) ينظر تفسير سورة العلق في تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

آخر أن الخمس آيات من سورة العلق كانت متأخرة في نزولها وبعد أن انتشرت أخبار النبي عليه الصلاة والسلام، فكان المشركون حينها يمرّ بهم النبي ﷺ يتهامون فيما بينهم إن «ابن عبد المطلب يكلم السماء»، أي ما أقصده أن أمر الدعوة للدين الجديد كانت لم تنزل في طيّ الكتان.

• كذلك الحالة بخصوص سورة (يا أيها المدثر) فإن عجزها وهو بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ﴾ (٩) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (١٠) ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا﴾ (١١) ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٢) ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ (١٣) ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (١٤) ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥) ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ (١٦) ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ (١٧) ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (٢٠) ... الخ الآية الكريمة) فإن عجز الآية الكريمة تعدّ ردّا على ما كان المشركون من أهل مكة وبالأخص الوليد بن المغيرة المخزومي يتداولونه بشأن ما كان النبي يقرأه من آيات

الذكر الحكيم، فصنع الوليد لقريش طعاما، فلما أكلوا. قال: ما تقولون في هذا الرجل؟. فقال بعضهم: ساحر. وقال بعضهم ليس بساحر. وقال بعضهم: كاهن. وقال بعضهم: ليس بكاهن. وقال بعضهم: شاعر. وقال بعضهم ليس بشاعر. وقال بعضهم: بل سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه، وتدثر، فأُنزل الله ﴿بَنَاتِهَا الْمَدْيَنَةُ﴾ (١) ﴿فَرَفَأَنذِرُ﴾ (٢) ﴿وَرَبِّكَ فَكَذِبُ﴾ (٣) ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرُ﴾ (٤) ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ﴾ (٥) ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (٦) ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ﴾ (٧). والحقيقة فإن سورة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾ (٣) ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٥) هي السورة الأكثر قربا بما كان الوليد وقومه يتساءلون حوله بشأن الرسول ﷺ. كذلك فإن الخمس آيات من سورة ﴿ت وَالْقَالِ وَمَا يُسْأَلُونَ﴾ (١) ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢) ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ (٥)

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

عن «أي الكفن خير»، فقالت له ما يضرّك. ثم قالت «إنما نزل أول ما نزل منه -أي القرآن الكريم- سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام» وهو حديث بحسب قول السيوطي قد رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ^(١٦). وهو حديث مفيد جدا في الخطاب التمهيدي لبداية نزول القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى إنما يقدّم ما كان عرب الجاهلية يغفلونه عن قدرة الخالق وعن الثواب والعقاب للذين ينكرون قدرة الله سبحانه وتعالى. من هنا اضطر جلال الدين السيوطي الى تبرير التناقض بين الروایتين، رواية عروة عن عائشة ورواية جابر بن عبد الله بالقول «وَقَدْ

وَبُصِّرُونَ»، هي الأخرى مرشحة لأن تكون قد أنزلها الله تعالى للردّ على إتهامات الكفار من قريش وبضمنهم الوليد بن المغيرة وأبي جهل وغيرهما. فالآيات الخمس من سورة المدثر والآيات الخمس من سورة (ن). والقلم) كانت ردّا من الله سبحانه وتعالى على ردود فعل قريش والكفار وأجوبة ربانية على الأوصاف التي توصّلوا إليها وما توصّل اليه الوليد بن المغيرة بعد أن ﴿فَكَرَّ وَفَدَّرَ^(١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ^(١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ^(٢٠) ثُمَّ نَظَرَ^(٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ^(٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ^(٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَٰهٌ يُؤْتِرُ^(٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَٰهٌ قَوْلُ الْبَشَرِ»، لأن الرسول الكريم ﷺ كان أشد ما يكرهه هو أن يسمع من قومه قربش تقول أنه ساحر أو مجنون في الوقت الذي كانوا يعرفونه بالصادق والأمين.

- والملاحظة الأخرى في هذا الصدد هي في حديث ورد في صحيح البخاري برقم ٤٧٠٧ عن السيدة عائشة حين سألهما عراقي سؤالا

(١٦) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، [باب تأليف القرآن] دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ص ٦٥٥-٦٥٦؛ الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، جزء ١ ص ٩٥.

اسْتَشْكَلَ هَذَا بِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ «أَقْرَأُ»
وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأُجِيبُ
بِأَنَّ مِنْ مَقْدَرِهِ أَيُّ مَنْ أَوَّلَ مَا نَزَلَ
وَالْمُرَادُ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ
بَعْدَ فِئْرَةِ الْوَحْيِ وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ فَلَعَلَّ آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نُزُولِ
بَقِيَّةِ «أَقْرَأُ»^(١٧). وهو تبرير غير منطقي
فكيف يكون عجز سورة المدثر الذي
يتضمن الجنة والنار، وبالأخص الآية
رقم ٣١ من سورة المدثر تنزل أولاً
قبل صدر السورة والتي جاء فيها
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ
جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۖ

(١٧) ينظر الإتقان في علوم القرآن؛ عبد الرحمن
بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:
٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،
الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م، جزء ١
ص ٩٥.

فالمسألة فيها إشكالية في الحقيقة كما
خنهها السيوطي، ولذلك فإنه لم يكمل
الفكرة إنما أوقف الاستشكال بهذا
الرأي.!. وواقعاً فإن على السيوطي
وغيره من العلماء أن يلتفتوا قليلاً إلى
الرواية الأقرب من رسول الله ﷺ
وأقصد رواية الإمام علي عليه السلام لأنه
كان ملازماً للنبي إذ يروى مؤلف
كتاب الخرائج والجوائح رواية عن
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال
فيها «كنت مع رسول الله ﷺ فخرج
في بعض نواحيها، فما بقي شجر ولا
حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول
الله»^(١٨). وإنما بعون الله تعالى سوف
نقف على مضامين الرواية الشيعية
حول هذا المطلب في أدناه.

* * *

والحق يقال أن رواية الصحابي جابر
بن عبد الله الأنصاري هي أكثر وضوحاً
وواقعية وأقل مبالغة في تفصيلاتها

(١٨) ينظر الخرائج والجوائح؛ قطب الدين بن
سعد بن هبة الله الراوندي، تحقيق ونشر:
مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، الطبعة: الاولى
١٤٠٩هـ جزء ١ ص ٤٦.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

وفي هدفها من رواية السلسلة السندية المهمة التي سندها يرجع الى ابن شهاب الزهري + عروة + عائشة، علما بأنها، أي رواية جابر الأنصاري، تمثل مرحلة لاحقة لنزول أول آيات القرآن الكريم لأنها تضمنت الأمر بالإنذار والتبليغ بالرسالة السماوية وهذه بدورها تمثل مرحلة لاحقة على اعتبار أن الدعوة في بدايتها وكانت ما زالت في مرحلتها السرية، وأن رسول الله ﷺ لم يعلنها بعد حتى الى عشيرته الأقربين، وأن الإنذار والتبليغ جاء على مراحل:-

- مرحلة التبليغ للمسلمين الأوائل، خديجة الكبرى عليها السلام والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وزيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب عليه السلام. ولذلك كانت ردود فعل القرشيين الكفار لم يكن مباشرا ولم يكن قاسيا إنما كانوا يعبرون عن استيائهم مما يقوم به النبي ﷺ بترويحهم تعبيرات تنم على استهزاء وتساؤل كقولهم مثلا «ابن عبد المطلب يكلم السماء» أو كما أورد ابن كثير في تفسيره للقرآن

العظيم «سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ صَنَعَ لَقْرِيشَ طَعَامًا، فَلَمَّا أَكَلُوا مِنْهُ قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاحِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ بِسَاحِرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَاهِنٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ بِكَاهِنٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِشَاعِرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ سِحْرٌ يُؤْثَرُ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّهُ سِحْرٌ يُؤْثَرُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَزِنَ وَقَنَعَ رَأْسَهُ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِّرِينَ﴾ (١) ﴿قُرْآنَ ذَرِّ﴾ (٢) وَرَبِّكَ فَكَذِّبْ (٣) وَيَا بَاكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿ وقوله تعالى: ﴿قُرْآنَ ذَرِّ﴾ (٢) أَي شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْعِزْمِ وَأَنْذَرَ النَّاسَ، وَبِهَذَا حَصَلَ الْإِرْسَالُ كَمَا حَصَلَ بِالْأَوَّلِ النُّبُوَّةُ» (١٩).

(١٩) ينظر تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير؛ تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ جزء ٨ ص ٢٧٢.

وكانت المرحلة الثانية في تنفيذ أمر الله والتبليغ بالإسلام الحنيف من خلال آية إنذار عشيرة الرسول ﷺ الأقربين. ومن الطبيعي هنا أن تتخذ ردود فعل القريشيين الكفار وسائل أخرى قاسية على شكل رد فعل أبي جهل أزاء ما كان رسول الله يؤديه من واجبات كالصلاة وكذلك لاستمراره ﷺ في قراءة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم التي أنزلها الله سبحانه حتى هذه المرحلة إن كانت الخمس آيات من سورة العلق أو الآيات من سورة الأنعام آية ١٥١ بحسب رواية الإمام علي عليه السلام أو سورة الفاتحة. هنا لا بد لنا أن ندخل أوامر الله سبحانه وتعالى في الانتقام من هؤلاء كأبي جهل المخزومي والوليد بن المغيرة المخزومي ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ١١ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى ١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ ١٣ وَتَوَلَّى ١٤ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ١٥ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٦ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٧ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٨ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ١٩﴾

﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ١٩ . وتلت هذه المرحلة المرحلة النهائية (يا أيها المدثر [أي المدثر بعبادة النبوة وأعبائها] ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَتِبَالَكِ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧﴾ والآيات الكرييات من سورة الحجر ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ١٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ١٦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ١٨ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ١٩ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ٢٠ .

ولذلك فإنني بتواضع لا أرى أن هنالك فتورا في الوحي بحسب إدعاء الزهري إنما هو أمر اقتضته طبيعة الدعوة الإسلامية للدين الجديد وردود فعل المشركين القريشيين التي تدرجت بين السلمية للتفريج والاستهزاء وبين التفكير الجدي بما يقرأه رسول الله ﷺ من الآيات الكريمة التي تنزل عليه باستمرار خلال هذه المرحلة التاريخية من أجل بناء شامل

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

وهادف للمجتمع وللشخصية المؤمنة الجديدة التي قوامها الأساس التقوى. والمهم إنه بحسب رأي ابن شهاب الزهري أن فترة فتور الوحي امتدت في ذهنه وفي روايته من يوم واحد أو ليلة واحدة الى يومين الى سنة واحدة الى سنتين الى سنتين ونصف أو الى ما شاء للزهري أن يتذكر كم هي مدة فتور الوحي أصلاً إن صحَّ ذلك!. والسؤال المنطقي الذي يواجهنا هو لماذا يكون هذا الخبر المهم جداً مقصوراً على الزهري في رواية أحادية لا معنى لها سوى الإضرار بطبيعة العلاقة الروحانية بين الله سبحانه وتعالى وبين نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام. وهذا قول لابن عباس بشأن الفتور، فتور الوحي، لا بدّ من ذكره لا بسبب الاعتقاد بصحته ولكن لتفسير المسألة كلها. والرواية وردت في تفسير الميزان للطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن، سورة الضحى «قال ابن عباس: احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوماً فقال المشركون أن محمداً قد ودّعه ربه وقلاه ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة و

قيل إنما احتبس الوحي اثني عشر يوماً عن ابن جريج و قيل أربعين يوماً عن مقاتل وقيل إن المسلمين قالوا ما ينزل عليك الوحي يا رسول الله فقال و كيف ينزل علي الوحي و أنتم لا تنقون براجكم و لا تقيمون أظفاركم ولما نزلت السورة قال النبي ﷺ لجبرائيل عليه السلام ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبرائيل عليه السلام وأنا كنت أشد إليك شوقاً ولكنني عبد مأمور و ما ننزل إلا بأمر ربك. وقيل سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين و أصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غدا و لم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي هذه الأيام فاغتم لشماتة الأعداء فنزلت السورة تسلياً لقلبه. وقيل إن النبي ﷺ رمي بحجر في إصبعه فقال هل أنت إلا إصبع رميت، و في سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أراه قريبك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت السورة (٢٠). وذكر ابن كثير في (٢٠) ينظر الطبرسي؛ أبا علي الفضل بن الحسن:

تفسير القرآن العظيم رواية عن أحمد بن حنبل يذكر فيها «قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندباً يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يَقم ليلةً أو ليلتين، فأَتَتْ امرأةً فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير» (٢١).

وروى ابن كثير رواية ثانية عن السبب في عدم قيام رسول الله ﷺ فقال «وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي قالوا حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان، حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جندباً يقول رُمي رسول الله ﷺ بحجر في أضبعه فقال: «هل أنت إلا إضبع دُميت، وفي سبيل الله ما لقيت؟»

مجمع البيان في تفسير القرآن، طبعة جديدة

منقحة الطبعة الأولى، طبعة دار المرتضى،

بيروت، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦ جزء ١٠

ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢١) ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم جزء ٨ ص

٤١٠.

قَالَ فَمَكَثَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لَا يَقُومُ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ فَتَزَلَّتِ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَالسَّيِّقُ لِأَبِي سَعِيدٍ، قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي هَبٍ، وَذَكَرَ أَنَّ أَضْبَعَهُ دُمِيتَ «ويلاحظ إن ابن كثير قد رأى نوعاً من الاختلاف بين الروایتين فعقب على ذلك بقوله «وقوله هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي اتَّفَقَ أَنَّهُ مَوْزُونٌ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ هَاهُنَا جَعَلَهُ سَبَبًا لِتَرْكِهِ الْقِيَامِ وَنَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ» (٢٢). ثم أعقب هاتين الروایتين بالرواية الزبيرية التي ورد ذكرها عند ابن هشام في السيرة وهي: - «فأما ما رواه ابن جرير: حدثنا ابن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فأنزل الله والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى. وقال أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل

(٢٢) م. ن. جزء ٨ ص ٤١١.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

الروايات إلى حقيقة الحدث. وهناك ثمة ملاحظات على الرواية منها:-

١. هي رواية ناقصة اذ تبدأ ربما بعد نزول الرسول من جبل النور وغار حراء، علما أنها ابتدأت بالقول نقلاً عن رسول الله ﷺ إذ «قال جاورت في حراء فلما قضيت جوارى هبطت فاستنبتت الوادي» وقوله ﷺ هاهنا يخالف تماماً ما ورد بحسب رواية الزهري إذ روى إن النبي قال: «فبينما أنا أمشي يوماً أذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء» فالروايتان لا تؤشران إلى نزول أول سورة من الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام في هذا اللقاء، فان كان مثل هذا قد حدث لما أغفل الرسول ﷺ من أن يذكره ويذكر السورة التي أنزلت عليه إن كانت الخمس آيات من سورة (اقرأ باسم ربك) أو أي سورة أخرى، في الوقت الذي نصّت الروايتان على نزول آيات من سورة (يا أيها المدثر). وقد انتبه عدد من العلماء إلى ما قد يثيره هذا التضارب والاختلاف من

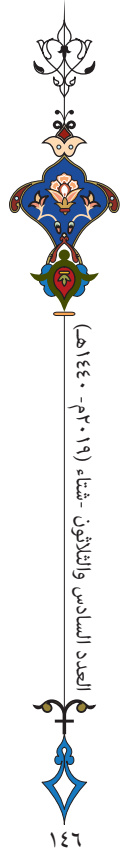
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا فَقَالَتْ خَدِيجَةُ إِنِّي أَرَى رَبَّكَ قَدْ قَلَاكَ مِمَّا نَرَى مِنْ جَزَعِكَ، قَالَ فَتَزَلَّتْ وَالْضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى إِلَى آخِرِهَا، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ «فما كان من ابن كثير إلّا القول» وَلَعَلَّ ذِكْرَ خَدِيجَةَ لَيْسَ مُحْفُوظًا أَوْ قَالَتْهُ عَلَى وَجْهِ التَّأْسُفِ والحزن، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (٢٣).

وفي هذه المناسبة فقد أشار الى ذلك محمد حسين الطباطبائي بقوله: «قيل: انقطع الوحي عن النبي ﷺ أياما حتى قالوا: إن ربه ودعه فنزلت السورة فطيب الله بها نفسه، و السورة تحمل المكية والمدنية» (٢٤).

والواقع فإن رواية جابر الأنصاري قد أحرزت رضى وقبول عام من المفسرين والمؤرخين وفي إعطائها الدور الأساسي للعلاقة الروحانية بين الملك جبرئيل عليه السلام ورسول الله ﷺ، وهي ربما أقرب

(٢٣) م. ن. جزء ٨ ص ٤١١.

(٢٤) الطباطبائي، السيد محمد حسين؛ الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، جزء ٢٠ ص ٣٥٣.



تساؤلات فعمدوا إلى إيجاد حلول
توفيقية وتعليلات غير قاطعة للجدل
ولهذا الغموض.

٢. أغفلت رواية جابر نهائياً الدور
المركزي للروايات الزبيرية لورقة
بن نوفل تلك التي جعلته المحور
الأساس الذي تدور حوله قصة
الغار، غار حراء، بدلاً من أن يكون
تسليط الضوء على لقاء الوحي
برسول الله وتبليغه رسالة الله سبحانه
وتعالى. فقد ركزت رواية جابر على
العلاقة السماوية بين الملك والنبي ﷺ
ولم تعط أي اهتمام لورقة. ومما لاشك
فيه ان هذا الإغفال لم يكن عفويًا إنما
كان واقعياً وهو يشير إلى تحجيم دور
ورقة او إلغاءه بالمرة في حين كان
هناك مجال للاشارة إليه إن كان له
دور. فبعد عودة رسول الله إلى منزله
وحديثه مع زوجته تدثر ثم قامت
السيدة خديجة بصّب الماء عليه؛ ولم
تسترسل الرواية لتذكر ان السيدة
خديجة انطلقت بسرعة بعد أن رأت
النبي في حالته من ارتفاع درجة

حرارته إلى ورقة عمها لاستشارته،
فإنها بحسب رواية الصحابي جابر لم
تفعل ذلك.

٣. والاكثر أهمية ان رواية الصحابي جابر
قد قللت من أهمية ما فعلته رواية
الزهري بشأن فتور الوحي والمعاناة
التي حلت برسول الله ﷺ بسبب
انقطاع الوحي فترة من الزمن بحسب
رواية الزهري، اذ قال الزهري في
رواية عن معمر [يقصد معمر بن
راشد، تباينت آراء علماء الجرح
والتعديل حول مكانته في رواية
الأحاديث، فقال يحيى بن معين: قال
هشام بن يوسف: أقام معمر عندنا
عشرين سنة ما رأينا له كتابا. يعني
كان يحدثهم من حفظه، وقال مؤمل
بن يهاب قال عبد الرزاق: كتبت عن
معمر عشرة آلاف حديث. وتوفي
سنة ١٥٣ هجرية] (٢٥). «فتر الوحي
عن رسول الله ﷺ، فترة فحزن حزناً
شديداً جعل يغدو إلى رؤوس شواحق

(٢٥) ينظر الذهبي؛ سير أعلام النبلاء جزء ٧
ص ٥ - ١٨.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

الوحي))^(٢٧). وكأن موت ورقة كان تمثيلاً لبداية انقطاع الوحي، وهذا أمر غير صحيح على الإطلاق.

٤. تضمنت رواية الصحابي جابر تعبيرات تشير إلى خوف وفزع الرسول ﷺ حينما رأى الملك ومنها مثلاً: فجثت منه، أو فجثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض أو فرعت منه فرجعت فقلت زملوني. وهذه التعبيرات تدل على عدم ثقة الرسول بنفسه وعلى الخوف والفزع والرعب الذي حلّ به ﷺ حينما رأى الملك. غير أن الرواية قد ناقضت نفسها بنفسها في القول ((فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي.. الخ)). كذلك جاء في الرواية

(٢٧) جامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري؛ البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ صحيح البخاري ج١ ص ٧.

الجلال ليرتدي منها فلما أوفى بذورة جبل تبدى له جبريل فيقول انك نبي الله فيسكن لذلك جأشه وترجع إليه نفسه^(٢٦). لكن رواية الصحابي جابر استمرت في تسلسلها بعد نزول الوحي بسورة (يا أيها المدثر) إلى قوله تعالى والرجز فاهجر) ثم تقول ((فحمي الوحي وتتابع)) فليس هنالك ما يؤكد قول الزهري هذا، لذلك علينا إعادة قراءة الرواية التي أدلى بها الزهري تلك التي تعكس تردد الرسول ﷺ وتخوفه ومحاولاته إلقاء نفسه من أعالي الجبال الشواهد؛ فضلاً عن إعادة قراءة الرواية الزيرية التي إنتهت بلقاء ورقة للرسول وهو يطوف حول الكعبة وتقيله النبي من يخوفه ﷺ وتمنياته بأنه إن يبقى حياً لينصر رسول الله. فالرواية الزيرية تنتهي مباشرة إلى هذا القول ((ثم لم ينشب ورقة إلى أن توفي وفتر

(٢٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ جزء ٢ ص ٥٢.

الثانية قوله ﷺ «فنوديت فنظرت فوقني فاذا انا به قاعد على العرش بين السماء والأرض» لهذا نعتقد بان تعبيرات كالخوف والهلع لا تتوافق والأقوال التي مرّت على رسول الله ﷺ في لقائه هو نفسه مع الملك، ولعل التعبير الأكثر قبولا يكون كرد فعل طبيعي كقوله ((فخشيت منه)) بدلا من التعبيرات تلك التي تدل على فزع النبي ﷺ وتخوفه.

إذن كما رأينا في أعلاه أن رواية جابر بن عبد الله الأنصاري تعدّ دحضا لما أكدته الرواية الزبيرية تلك التي تفيد بأن الخمس آيات الأولى من سورة العلق هي الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ. غير أن الطبري في روايته عدّ سورة (أقرأ باسم ربك) هي أول سورة أنزلت من القرآن الكريم فيقول «كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ أَقْرَأَ ﴿١﴾ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٢﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ بِأَيِّهَا الْمَدِينَةُ ﴿٧﴾ تَمُوقًا تَنْدَرُ ﴿٨﴾ وَالصُّحَى ﴿٩﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا

سَجَى ﴿١٠﴾ (٢٨).

٥. وعلى هذا الأساس فرواية الطبري هذه قد أثارت، بحدّ ذاتها، إشكالية أخرى بما له علاقة بالسورة الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ إن كان هذا الإنزال قد حدث في غار حراء كالذي صورته الرواية الزبيرية عن السيدة عائشة أم في الوادي بعد أن استبطنه النبي ﷺ بعد نزوله من جبل النور وغار حراء كالذي صورته رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري أو بين شعاب الجبال بينما كان يرعى غنما لعمه أبي طالب كما صورته رواية الإمام عليّ عليه السلام أو في أي مكان آخر. ومع هذا فإن هنالك أمرا مهما جدا فيما يتعلق بأولئك العلماء الذين يرون بأن الآيات الخمس الأولى من سورة ﴿١﴾ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٢﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ فهذه الآيات

(٢٨) الطبري؛ تاريخ جزء ٢ ص ٢٩٩.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

الخمس هي بالفعل آيات مكية على الرغم من أن هذه السورة قد عدت مكية -مدنية، وهي بحسب أقوال المفسرين والمؤرخين تتنافس مع الخمس آيات الأولى من سورة العلق في الأسبقية. فالبعض يراها أنها أول نازل من القرآن الكريم على الرسول ﷺ؛ ولذلك فقد رجحت السيدة عائشة بأن هذه السورة قد نزلت على النبي في مكة وبعد سورة العلق المكية مباشرة؛ في حين يرى آخرون أنها نزلت قبل سورة العلق ولا سيما الخمس آيات الأولى منها^(٢٩). وها هنا علينا أن نوجه اهتمام القارئ اللبيب الى أن جلال الدين السيوطي المتوفى في سنة ٩١١ هجرية في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، هو العالم الذي شخّص

(٢٩) ينظر ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم جزء ٨ ص ٢٠٤؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق؛ علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ جزء ١٥ ص ٣٩٩-٤٠٠.

اختلاف الروايات الشفهية واختلاف الآراء بخصوص السورة الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ، وقد رتب هذه الاختلافات على الوجه الآتي^(٣٠) فيقول ما نصّه: «اُخْتَلِفَ فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا وَهُوَ الصَّحِيحُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) رَوَى الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيْلُ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ. القول الثاني: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن [الحقيقة هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وليس سلمة] قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيْ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ قَبْلُ قَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قُلْتُ: أَوْ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) قَالَ: أَحَدُكُمْ مَا حَدَّثَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي

(٣٠) جلال الدين السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م) جزء ١ صفحة ٩١ الى صفحة ٩٧.

جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ
فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي
وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ
فَإِذَا هُوَ يَعْنِي جِبْرِيلَ فَأَخَذَنِي رَجْفَةً
فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَأَمَرْتُهُمْ فَدَثَرُونِي فَأَنْزَلَ
الله: ﴿يَتْلُوهَا الْمَدِينَةُ ١﴾ ﴿فَرَأَيْنَاهُ﴾. الْقَوْلُ
الثَّالِثُ: سُورَةُ الْفَاتِحَةِ قَالَ فِي الْكَشَافِ:
ذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ سُورَةِ
نَزَلَتْ «اقْرَأْ» وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ
سُورَةٍ نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ. الْقَوْلُ الرَّابِعُ:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَكَاهُ ابْنُ النَّقِيبِ
فِي مُقَدِّمَةِ تَفْسِيرِهِ قَوْلًا زَائِدًا. وَأَخْرَجَ الْوِ
احِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عِكْرَمَةَ وَالْحُسَيْنِ قَالَا
أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ) وَأَوَّلُ سُورَةٍ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ).
وَيَعْقِبُ السِّيُوطِيُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَبِينَا
فِيهِ مَوْقِفُهُ قَائِلًا «وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ
قَوْلًا بِرَأْسِهِ فَإِنَّهُ مِنْ ضَرُورَةِ نُزُولِ السُّورَةِ
نُزُولُ الْبَسْمَلَةِ مَعَهَا فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ
عَلَى الْإِطْلَاقِ». وَوَرَدَ فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ
حَدِيثٌ آخَرُ: رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ
قَالَتْ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ
فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ

إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ.
وَقَدْ اسْتَشْكَلَ هَذَا بِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ
«اقْرَأْ» وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأُجِيبُ
بِأَنَّ مِنْ مَقْدَرِهِ أَيُّ مَنْ أَوَّلَ مَا نَزَلَ وَالْمُرَادُ
سُورَةُ الْمَدِّثِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَ فِتْرَةِ
الْوَحْيِ وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَعَلَّ
آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نُزُولِ بَقِيَّةِ «اقْرَأْ» (٣١).

[أقول إن الآية المرقمة ٣٢ من سورة
المدثر فيها ذكر للنار فيقول الله العلي
القدير بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا
جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ
إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾]. وأقول أيضا أن المتفق
عليه عند المؤرخين وعند مفسري القرآن
الكريم أن رواية الصحابي جابر بن عبد
الله بخصوص نزول الآيات الخمس
الأولى من سورة المدثر فقط ولم تذكر
السورة كاملة، لهذا فإن ذكر النار لم تكن
(٣١) م. ن. جزء ١ ص ٩١ - ٩٤.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... (المصباح)

ضمن الخمس آيات الأولى إنما جاء ذكرها متأخرا. انتهى تعليق الباحث].

وينتهي السيوطي من عرض هذه الآراء، آراء العلماء والرواة الشفاهيين المختلفة بشأن السورة الأولى التي أنزلها الله تعالى على نبينا الكريم، وذلك بذكره قائمة بتسلسل سور القرآن الكريم، معتمدا على ما ذكره على أبي بكر محمد بن الحارث بن أبيص في جزئه المشهور وعلى وفق التسلسل التاريخي وهي:- وقال أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيص في جزئه المشهور: حدثنا أبو العباس عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادي حدثنا حسان بن إبراهيم الكرماني حدثنا أمية الأزدي عن جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة: {اقرأ باسم ربك} ثم: {ن والقلم} ثم: {يا أيها المزمل} ثم: {يا أيها المدثر} ثم: {الفاتحة} ثم: {تبت يدا أبي لهب وتب... الخ سور القرآن الكريم المذكورة في كتاب (الإتقان) (٣٢).

وهي لوحة قابلة للجدل والمناقشة

(٣٢) ينظر السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن؛ جزء ١ ص ٩٦.

أيضا فسورة (ن والقلم وما يسطرون) كما لاحظنا في أعلاه هي سورة مكية- مدنية غير أن الخمس الآيات الأولى منها قد نزلت بحسب الروايات بعد لقاء الرسول ﷺ ورقة بن نوفل، وبحسب رواية ابن كثير إذ يقول «بعد ان سألت خديجة ورقة عن امر زوجها وقد صدقتك عنه، فأرسلني إلي ابن عبد الله أسأله، وأسمع من قوله وأحدثه؛ فإني أخاف أن يكون غير جبريل؛ فإن بعض الشياطين يشبه به ليضل به بعض بني آدم، ويفسد لهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدهما مجنونا. فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيرا، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقة فأنزل الله تعالى ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٣٣﴾، وأن سورة المزمل إنما نزلت بعد سورة المدثر لا

(٣٣) ابن كثير؛ البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ابن كثير البداية جزء ٤ ص ٣٦.

قبلها وكما المقصود بها النبي ﷺ، واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه السورة من التزمل، فقال بعضهم: وصفه بأنه متمزمل في ثيابه، متأهب للصلاة. وكما نعلم أن جبرئيل عليه السلام قد علّم النبي الصلاة ركعتين ركعتين ولذلك يقتضي القيام بها قبل التزمل، إذ يقول الله سبحانه وتعالى في سورة المزمل ﴿قُلْ أَلَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ۚ نَصْفُهُ ۖ أَوِ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ وَرَيْلُ الْفُزْنِ أَنْ تَرَيَلًا ۚ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾. من ذلك يمكننا القول أن سورة المدثر قد سبقت في نزولها سورة المزمل. وحول هذا الموضوع المهم يتداخل الآلوسي في كتابه (روح المعاني) مستشهدا بالجدال الذي كان موجودا بين العلماء المسلمين في هذا الصدد فيقول «وروى أمية الأزدي عن جابر بن زيد وهو من علماء التابعين بالقرآن أن المدثر نزلت عقب المزمل وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس وجعلوا ذلك من أسباب وضعها بعدها والظاهر ضعف هذا القول فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وجماعة عن يحيى بن أبي كثير

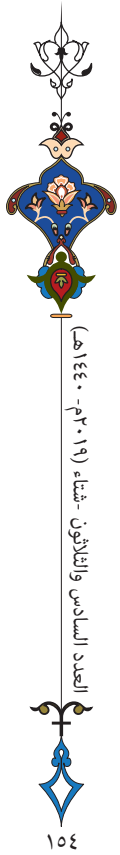
قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: يا أيها المدثر، قلت: يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جواربي هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئته منه رعبا فرجعت فقلت دثروني دثروني فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾. ولهذا السبب يقول الآلوسي «ولو كانت يا أيها المزمل هي النازلة قبل فيها لذكرت نعم ظاهر هذا الخبر يقتضي أن يا أيها المدثر نزل قبل اقرأ باسم ربك والمروي في الصحيحين وغيرهما عن عائشة أن ذاك أول ما نزل من قرآن وهو الذي ذهب إليه أكثر الأمة حتى قال بعضهم هو الصحيح، ولصحة الخبرين احتاجوا للجواب فنقل في الإتيان

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

وكذلك اختلف علماء التفسير والتاريخ بخصوص سورة (الفاتحة)، إذ يرى البعض بأنها أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ، ولقد حُص الطنطاوي في كتابه الوسيط ما ذكر بهذا الشأن فقال «وما ورد من أحاديث تفيد أن أول سورة نزلت هي «سورة الفاتحة» فمحمول على أن أول سورة نزلت كاملة هي سورة الفاتحة. كذلك ما ورد من أحاديث في أن أول ما نزل سورة المدثر، محمول على أن أول ما نزل بعد فترة الوحي. أما صدر سورة العلق فكان نزوله قبل ذلك. قال الألوسي -بعد أن ساق الأحاديث التي وردت في ذلك -: «وبالجملة فالصحيح -كما قال البعض وهو الذي أختاره -أن صدر هذه السورة الكريمة، هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق. وفي شرح مسلم: الصواب أن أول ما نزل «اقرأ» أي: مطلقاً، وأول ما نزل بعد فترة الوحي، «يا أيها المدثر»، وأما قول من قال من المفسرين، أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر». وعلى هذا الأساس فإن الطنطاوي يستتج قائلاً «والذي

خمس أجوبة الأول أن السؤال في حديث جابر كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكاملها سورة المدثر قبل تمام سورة اقرأ فإن أول ما نزل منها صدرها الثاني أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة الثالث أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإندار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله أول ما نزل للنبوّة اقرأ باسم ربك وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر الرابع أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم الخامس أن جابر استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روت عائشة رضي الله عنها ثم قال: وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير انتهى وفيه نظر فتأمل ولا تغفل» (٣٤).

(٣٤) ينظر الألوسي؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ جزء ١٥ ص ١٢٨.



نرجحه ونميل إليه أن أول من قرآن على الإطلاق، هو صدر هذه السورة الكريمة إلى قوله (مَا لَمْ يَعْلَمْ)، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك. أما بقيتها فكان نزوله متأخراً. «قال الأستاذ الإمام» أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعاً، وما فيه من ذكر أحوال المكذبين، يدل على أنه إنما نزل بعد شيوع خبر البعثة، وظهور أمر النبوة، وتحرش قريش لإيذائه ﷺ» (٣٥)؛ ومن بين المؤرخين الذين خاضوا في هذا الجدل ابن الأثير في تاريخه الكامل فقال «إن أول ما نزل عليه من القرآن بعد (اقرأ) و(ن والقلم وما يسطرون) و(يا أيها المدثر)، (والضحى)» (٣٦).

إذن كما رأينا في أعلاه إن رواية جابر بن عبد الله، في واقع الحال، تعدّ دحضاً لما أكدته الرواية الزبيرية التي تفيد بأن

(٣٥) تفسير الطنطاوي؛ التفسير الوسيط للقرآن الكريم الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٨ جزء ١٥ ص ٤٥٣.

(٣٦) ينظر الكامل في التاريخ؛ ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م جزء ١ ص ٦٤٩.

الخمس آيات الأولى من سورة العلق هي الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ. غير أن الطبري قد أورد الرواية الزبيرية بصيغة أخرى وحذف منها مسألة ما قام به الملك جبرئيل بما أمر الرسول بأن يقرأ... الخ الرواية. فرواية الطبري التي استندت إلى النعمان بن راشد وهو يحدث عن ابن شهاب الزهري وعن عروة وعن عائشة، فالعهدة إذن على النعمان بن راشد وإن النعمان بن راشد الجزري الرقي، مولى بني أمية الرقي روى عن عبيد الله بن مسلم أخي الزهري وكذلك روى عن ابن شهاب الزهري، ووصف بأنه كان ضعيف الحديث وعاش في الجزيرة، الرقة وهو يعدّ من الطبقة السادسة. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه، فقال: مضطرب الحديث، روى أحاديث مناكير. أدخله البخاري في كتاب «الضعفاء». وقيل إنه كان سيء الحفظ وقال النسائي. ضعيف، كثير الغلط. وقال في موضع آخر: أحاديثه مقلوبة (٣٧).

(٣٧) ينظر المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (رقم ٦٤٤٠) جزء ٢٩ ص ٤٤٥ - ٤٥٠؛

فيروي النعمان بن راشد قصة غار حراء على الوفق الآتي:

«فَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ الْمُعْرُوفُ بِأَبِي الْجُوزَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ ابْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ رَاشِدٍ، يُحَدِّثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ، كَانَتْ تَحِيءُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ بَغَارَ بَحْرَاءِ يَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ، [فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ!]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَيَّ وَأَنَا قَائِمٌ، ثُمَّ رَحَفْتُ تَرَجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي! حَتَّى ذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَبَدَّى لِي حِينَ

هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَرِيْلٌ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَتَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُحْدَ، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، فَقَرَأْتُ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرْتَهَا خَبْرِي، فَقَالَتْ: ابْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يَخْزِيكَ اللَّهُ ابْدَاءً، وَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِيمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ! لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ! قُلْتُ: أَخْرِجِيْ هُم؟. قَالَ: نَعَمْ، أَنَّهُ لَمْ يَجِيءَ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ اقْرَأَ: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ يُبْصِرُونَ»، وَ «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ

ينظر المعجم الصغير لرواة الإمام الطبري؛ الشيخ أكرم بن محمد الأثري (رقم الترجمة ٤٦٧١).

فَأَنْذِرْ» و «وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى». حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ. فأهمية هذه الرواية تكمن في أنها أغفلت الكثير من التفاصيل التي وردت بشأن نزول سورة (العلق) كما ذكرناها سابقاً، فضلاً عن جعلها سورة (المدثر) كونها قد نزلت بعد إنزال سورة (ن والقلم) (٣٨).

من هذا كله أقول أن المؤرخين ومفسري القرآن الكريم من السنة قد أجمعوا على صحة الرواية الزيرية بسندها ابن شهاب الزهري + عروة بن الزبير + عائشة زوج النبي ﷺ بخصوص نزول السور الأولى من الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد ﷺ، وأقصد الخمس آيات الأولى من سورة العلق؛ في الوقت الذي سعوا فيه الى تضعيف رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري وذلك

(٣٨) ينظر الطبري؛ تاريخ جزء ٢ ص ٢٩٨-٢٩٩.

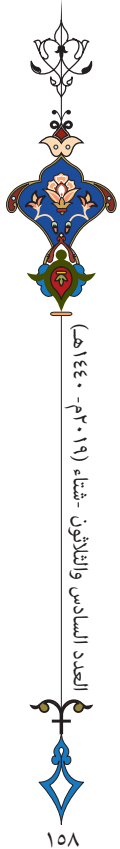
بجعلها السورة الثالثة أو الرابعة بعد نزول سورة (ن والقلم) وسورة (المزمل) وسورة (الضحى). على الرغم من أن موقف الصحابي جابر بن عبد الله عندما جوبه باستفسار من السائل الذي وجه اليه سؤالاً عن أول سورة نزلت على رسول فكان رده (يا أيها المدثر) فما كان من السائل سوى أن يعقب بشأن سورة أقرأ كونها أول سورة، فأجابه إنها كذلك، أي سورة (يا أيها المدثر) كما سمعها من رسول الله ﷺ، بمعنى أنه سمعها من الحلقة الأصلية والأساسية باعتباره صحابياً وكان معاصراً للنبي ﷺ وحاضراً معه في غزواته وشاهداً وسامعاً لأحاديثه ﷺ. ولكن عدداً من المؤرخين والمفسرين بهدف الدفاع عن رواية السيدة عائشة وجعلها هي الرواية المهيمنة والسائدة اتخذوا موقفاً توفيقياً لما ذكرته السيدة عائشة من أن الرسول كان غاطاً في نومه عندما جاءه الملك جبريل وبين ما ذكرته رواية الصحابي جابر من أن النبي كان واعياً بكامل وعيه تماماً إذ قال ﷺ لجابر ما نصّه «إِنِّي جَاوَزْتُ بِحِرَاءَ فَلَمَّا

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن (المصباح)

قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي
فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي
ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ يَعْنِي جِبْرِيلَ
فَأَخَذَنِي رَجْفَةً... الخ».

وحقيقة الأمر فإن جميع ما تقدم من مناقشة للاختلاف والجدل بشأن السور القرآنية النازلة على النبي ﷺ إنما مصدرها الأول والأخير هو الرواية الشفاهية الذين نقلوا الرواية وأوصلوها إلى المؤرخين ومفكري القرآن الكريم من السنة، وإن جميع هؤلاء الرواة قد اعتمدوا الرواية التي كانت حلقة وصلها الأساسية بالنبي هي زوجته السيدة عائشة. وكان هذا بعد أن وافاه ﷺ الأجل وبعد استقرارها في المدينة المنورة وسعيها الحثيث لأن تكون هي المدرسة والمصدر الأساس، وربما الوحيد، لرواية وتدوين أحاديث رسول الله ﷺ، تلك المدرسة التي كان فيها عروة بن الزبير التلميذ الأساس والمهم جدا بالنسبة إلى راعيتها عائشة إذ كانت تلقنه أحاديث السيرة النبوية تلقينا وتحفظه إياها تحفيظا؛ فروايتها شفاهية وحفظتها شفاهيا إلى عروة ثم دوّنت.

ولم يشذ أحد من هؤلاء الرواة الشفاهيين الزبيرين والموالين لآل الزبير والمؤرخين والمفسرين في التقليد وإتباع ذات المنهجية ولم يخطر ببالهم أن يعتمدوا ويبحثوا على حلقة أخرى توصلهم بنبي الأمة محمد ﷺ غير السيدة عائشة تلك الحلقة الأساسية في دروسنا عن السيرة النبوية مع أنها تحمل في أعماق قلبها وفي اللاشعور خزيينا كبيرا جدا من الحقد والكراهية لأعزّ شخصية عند زوجها رسول الله ﷺ ألا وهو الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وواقعا فإن هؤلاء لم يحاولوا ولو لمرة واحدة أن يعتمدوا على الآخر إن كان هذا الآخر هو من أقارب النبي أو من الصحابة الأجلاء الآخرين وهم كثر ناهيك عن كونهم ممن صرح رسول الله ﷺ بمعرفتهم وبعلمهم في القرآن الكريم وفي الفتيا وممن كان على مقربة منه وممن سمع وشهد ورأى وحفظ الكثير من أقواله وأحاديثه وشيئله وتجاربه ﷺ. ولناخذ مثالا فريدا من بينهم ولم يستطيعوا تغييبه أو دحضه كالذي عملوه مع رواية الصحابي الجليل القدر جابر بن عبد



الله، إنه سيد التابعين سعيد بن المسيب المخزومي، وهو عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه بحسب ترجمة شمس الدين الذهبي، وهو الذي قال عنه علي بن المديني «لأعلم في التابعين أحدا أوسع علما من ابن المسيب، وهو عندي أجل التابعين»، وكانت لأبيه صحبة وممن حضر بيعة الشجرة. ولسعيد بن المسيب رواية عن نزول الوحي تخالف ما جاءت به الرواية الزبيرية وقد أوردها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية بخصوص لقاء الملك جبرئيل برسول الله ﷺ في غار حراء وسندها يعتمد موسى بن عقبة [أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي مولاهم، المولود في المدينة المنورة وبها توفي سنة ١٤١ هجرية، عالم بالسير والمغازي، ومن ثقات رجال الحديث ومؤلف كتاب المغازي^(٣٩)]. وقد راجعنا كتاب (المغازي) لموسى بن عقبة نفسه للتأكد من صحة النقل، والكتاب المحقق

(٣٩) ينظر ترجمته العجلي، معرفة الثقات ج ٢ ص ٣٠٥. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ٨٠.

لموسى بن عقبة هو مجموعة رواياته جمعها ودرسها وخرّجها الأستاذ محمد باقشيش أبو مالك، في المغرب وطبع في سنة ١٩٩٤. ورواياته بصفة عامة قد اعتمدت الرواية الزبيرية، لأنه، واقعا، من موالي آل الزبير، أما من موالي الزبير بن العوام أو عبد الله بن الزبير. وكانت روايته بحسب ابن كثير كالآتي:-

«وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ وَكَانَ فِيْنَا بَلَّغْنَا أَوَّلَ مَا رَأَى يَغْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى أَرَاهُ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَذَكَرَهَا لِامْرَأَتِهِ خَدِيجَةَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ عَنِ التَّكْذِيبِ وَشَرَحَ صَدْرَهَا لِلتَّصْدِيقِ فَقَالَتْ أَبَشِّرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَصْنَعْ بِكَ إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى بَطْنَهُ شَقَّ ثُمَّ غُسِلَ وَطُهِرَ ثُمَّ أُعِيدَ كَمَا كَانَ قَالَتْ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَأَبَشَّرَ ثُمَّ اسْتَعْلَنَ لَهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مَجْلِسٍ كَرِيمٍ مُعْجِبٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ أَجْلَسَنِي عَلَى بَسَاطٍ كَهَيْئَةِ الدَّرْنُوكِ فِيهِ الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ فَبَشَّرَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ

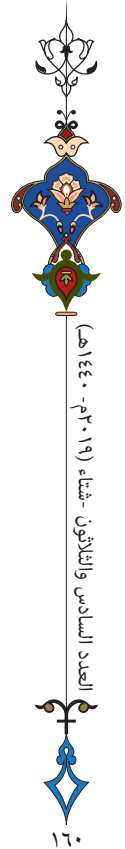
جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... **المصباح** •

والخوف والنزوع الى الإنتحار من أعالي
الجبال الشواهدق.

والواقع، فقد أدت رواية ابن شهاب
الزهري + عروة بن الزبير + عائشة أم
المؤمنين عن ورقة بن نوفل، اهمية الدور
الذي أدّاه في تطمين الرسول ﷺ وتثبيت
فؤاده بعد أن كان خائفا ومترددا ببعثته
وبرسالته الى نتائج وخيمة على أصالة
ديننا الإسلامي؛ ومن بين أهم هذه الآثار
السلبية هو تهليل المبشرين منذ القرون
الأوربية الوسطى الى زماننا هذا بهذه
القصة التي وضعها الرواة الشفاهيون.

فهي تعدّ الدليل الذي لا يضاهيه أي دليل
آخر في المسألة الجوهرية وهي عمق التأثير
النصراني منذ الإطالة الأولى للإسلام؛
ولذلك فقد انطلق المبشرون في تفسيراتهم
وتأويلاتهم وتخرصاتهم بله تطاولاتهم
على النبي الكريم. فلنضرب ثمة أمثلة
على هذه الفكرة، إذ كتب في هذه المؤسسة
التبشيرية في الولايات المتحدة الأمريكية
Christianity Stack Exchange
is a question and answer site
for committed Christians.

جَبْرِيلُ اقْرَأْ فَقَالَ كَيْفَ اقْرَأْ فَقَالَ: «اقْرَأْ
بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». قَالَ وَيَزْعُمُ
نَاسٌ أَنَّ «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» أول سورة نزلت
عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
رِسَالَةَ رَبِّهِ وَاتَّبَعَ مَا جَاءَهُ بِهِ جَبْرِيلُ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ مُنْقَلِبًا إِلَى بَيْتِهِ جَعَلَ
لَا يَمُرُّ عَلَى شَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ
عَلَيْهِ فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا مُوقِنًا أَنَّهُ
قَدْ رَأَى أَمْرًا عَظِيمًا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ
قَالَ أَرَأَيْتَ كَيْفَ كُنْتُ حَدَّثْتُكَ أَنِّي رَأَيْتُهُ
فِي الْمَنَامِ فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ اسْتَعْلَنَ إِلَيَّ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ
رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْبَرَهَا بِالَّذِي جَاءَهُ مِنْ
اللَّهِ وَمَا سَمِعَ مِنْهُ فَقَالَتْ أَبَشِّرْهُ فَوَ اللَّهِ لَا
يَفْعَلُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا وَأَقْبَلَ الَّذِي جَاءَكَ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ حَقٌّ وَأَبَشِّرْ فَإِنَّكَ رَسُولُ
اللَّهِ حَقًّا». فالرواية كالذي يظهر منها
تخلو من كافة التفاصيل غير الواقعية
التي اشتملت عليه الرواية الشائعة رواية
الزهري + عروة + عائشة؛ وبالأخص
الدور المهيمن لورقة بن نوفل الأسدي،
فضلا عن ما أظهرته من عوامل الفزع



والنبي) لمؤلفه الأب فيليب مايكل
PHILIP -MICHAEL بعنوان
(عيسى المسيح: القس، النبي والملك).

Jesus Christ: Priest,
Prophet, and King.

OCTOBER 25, 2013
BY FATHER PHILIP -MI-
CHAEL F. TANGORRA,
STL.

These three terms: priest,
prophet, and king, have come
to symbolize the threefold
mission and office of Christ
Jesus and his Church ... we
do not merely imply that he
holds these offices, but that
he is sent to publicly manifest
the powers of these offices.

كذلك هناك بحث بعنوان "هل كان
محمد آريوسيا Prophet
Muhammad was inspired by
?Ebionism

وهكذا يمكننا الاستشهاد بعدد من

experts in Christianity and
those interested in learning
more. Join them; it only takes
:a minute

مقالة بعنوان «وجهة نظر مسيحية

A Christian view of محمد
Mohammad، وهناك كتاب طبع
عن تأثير ورقة على رسول الله ﷺ بعنوان
(القس ورقة بن نوفل والنبي) لمؤلفه
جوزيف عزي Joseph Azzi كما يبدو
واضحاً في لصورة الكتاب في أدناه الذي
يقع في ١٢٩ صفحة في ٢٠٠٥.

وهناك بحث بعنوان "القس ومحمد".

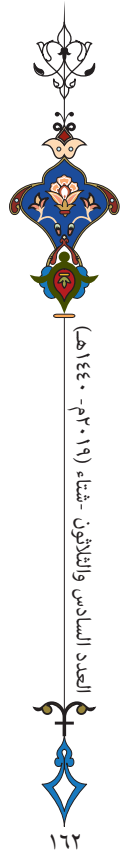
- THE PRIEST AND THE
PROPHET.
- The Christian Priest,
Waraqa Ibn Nawfal's,
Profound Influence upon
Muhammad, the Prophet
of Islam.
- Christian priest named
Muhammad.

وهذا كتاب آخر عن موضوع (القس

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

أهل البيت عليهم السلام صارت هذه موارد تخريبية للإسلام ولنسبة محمد ﷺ؛ وإلا فكيف لنا أن نصدق ما رواه عمرو بن شرحبيل الهمداني من أن رسول الله بعد شاهد الملك جبرئيل عليه السلام بتلك الهيئة في السماء سقط الى الأرض وعاد خائفا يرتعد فؤاده من الخوف ولكن الذي كان موجودا في منزله مع السيدة خديجة الكبرى هو أبو بكر؟! فلما رأت خديجة حالة زوجها قبل أن يدخل البيت "فقال ياعتق اذهب مع محمد الى ورقة فلما دخل رسول الله ﷺ. يلاحظ نقطة الانطلاق والإضافة، أن الرسول كان في المنزل وهو يحدث خديجة عن حالته والسيدة خديجة تستمع له، لكن الرواية مباشرة تغفل ذلك فتجعله ﷺ خارج المنزل) فاخذ ابو بكر بيده وقال انطلق بنا الى ورقة قال. وفي رواية أخرى فقال) ومن أخبرك، قال خديجة فانطلقا اليه فقصا (بمعنى الرسول وابو بكر) عليه" فهل يعقل هذا، فما هو شأن أبي بكر بنزول الوحي، ولماذا كان في منزل النبي والنبي غائب عن المنزل ولماذا ولماذا؟؟؟؟... الخ من التساؤلات.

البحوث والكتب الغربية والعربية التي كتبت في هذا المجال متأثرين، طبعا، بتلك القصة، قصة ورقة بن نوفل والنبي ﷺ، وبعضها قد حملت عناوين تبشيرية مؤثرة في العقلية الغربية والأمريكية نظير مقالة تبشيرية بعنوان "كان محمد نصرانيا تلميذ ورقة بن نوفل" و"كانت خديجة مسيحية" وما الى غير ذلك من تخرصات وأباطيل أسست من الناحية التاريخية على موارد مصدرية تبدو أنها أساسية ورئيسة في الكتابة عن تاريخ السيرة النبوية نظير ما نقلته أسانيد ابن شهاب الزهري وعروة بن الزبير وهشام بن عروة واسماعيل بن ابي حكيم مولى آل الزبير ورواية وهب بن كيسان مولى عبد الله بن الزبير وعبيد بن عمير مولى عبد الله بن الزبير وغيرهم كثر ينتمون جميعهم الى تلك السلسلة السندية [يراجع ابن هشام: السيرة النبوية بشأن عدد من الروايات الزبيرية عن قصة النبي ﷺ وورقة بن نوفل]، ومع كل ما في رواياتهم من نقاط ضعف لكنها، مع الأسف، ونتيجة الى ما كانت تحمله من ضغائن وكره لرواية



ولكن الرواية قد قبلت من قبل المؤلفين والمفسرين السنّة لكونها تتعلق بأبي بكر. فهذه الرواية أنموذج حي في مسألة مهمة في إقحام أمر ما أو شخصية في الرواية الأصلية لسبب من الأسباب ولعل أهمها وجود أبي بكر المستمر في منزل الرسول وبمعرفة بورقة وكونه هو الذي أسهم أولا في دعم وتأيد الرسول وذلك بأخذه إلى ورقة وبشرحه ما كان رسول الله يمرّ به من تجربة روحية. وقد أسدلت الرواية الستار عن دور أبي بكر حال وصولهما الرسول وأبو بكر - إلى ورقة. ولعلنا سنفرّد لهذه التخرصات التبشيرية بحثا تحليليا آخر. فقد ألفتُ عددا من البحوث حول تخرصات المستشرقين المبشرين بما له علاقة بجمع القرآن الكريم، وألفتُ كتابا جامعا بعنوان «جدلية عملية جمع القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية: منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر» بيروت ٢٠١٧.

* * *

من هنا أريد التأكيد على أن التعصب لرواية شفهية واحدة دون غيرها أمر

فيه مبالغة كبيرة، فضلا عن كونها مؤذية لسيرة سيد المرسلين محمد ﷺ، وأن الحري بالناقل لهذه الرواية سواء كان من الرواة الشفاهيين أو من المدوّنين لها أن يعتمدوا على رواية أخرى إلى جنبها لغرض التأكيد والتأكيد لا أكثر ولا أقل، فنحن لم نهدف أبدا إلى الطعن في هذه الرواية أو تلك ولا تكذيب أو تضعيف هذا الراوي أو هذا المدوّن أو ذاك إنّما هو مسعى للبحث عن حقيقة ما كان من حدث تاريخي يعدّ من أهم الأحداث في تاريخنا الإسلامي ألا وهو المبعث النبوي الشريف واللقاء الروحاني بين الله جلّ وعلا عن طريق الوحي الإلهي في تبليغ نبينا ﷺ رسالة السماء حيث اتّخذ الله تعالى رسولا للبشرية جمعاء.

فالذي أبغي من عرضه هنا أنه ينبغي البحث عن مصدر آخر خارج سياق قصة غار حراء التي قبلها كل من المؤرخين ومفكري القرآن الكريم، وعلى الرغم مما عمله معاوية في محاربته رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ غير أن الحقّ دوما يكشف الباطل فقد

بقيت هناك رواية يرجع سندها الى الإمام علي عليه السلام الذي كان بحسب الرواية الشيعية ملازما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن المحتمل جدا أنه كان يرفقته صلى الله عليه وآله وهو يرعى غنما لعمه أبي طالب؛ وإن الإمام علي عليه السلام هو الذي قدّم روايته التي تختلف عن الرواية الزيرية ورواية الصحابي جابر بن عبد الله وإن كانت أقرب الى رواية الصحابي جابر التي تشير الى أن رسول الله صلى الله عليه وآله تلقى الوحي الآلهي عندما استبطن الوادي وبعد نزوله من غار حراء، وكذا كانت رواية الإمام بحسب الرواية الشيعية؛ إنه عليه السلام رأى شخصا بينما كان يرعى الغنم بين شعاب الجبال، كما سيأتي ذكره بشكل أكثر تفصيلا في أدناه. المهم في هذه الرواية للإمام علي عليه السلام أن الملك جبرئيل أنزل عليه آية من سورة الأنعام تشتمل على خمس وصايا لله تعالى للمجتمع، مجتمع الرسول صلى الله عليه وآله ، تشير الى ما يهدف اليه الدين الجديد من عملية جدية في تغيير العادات والتقاليد السيئة التي كانت متفشية بين عرب الجاهلية، من دون أن يتعرض الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الى آلهتهم

والى ما كان يعبدون من أوثان، إذ تشير هذه الآية (رقم ١٥١) الى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا أَفْوَاحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّمُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، وهذه الوصايا تعدّ من الناحية التاريخية تجسيدا لما كان سائدا عند عرب الجاهلية، فالله تعالى هدف من ورائها الى أن الدين الجديد يبدأ بالقضاء على هذه العادات المتأصلة في نفوس عرب الجاهلية وتهدف الى بناء مجتمع جديد بعلاقات جديدة بين بعضهم البعض الآخر. ففي رواية الإمام علي عليه السلام فإن هذه الآية الكريمة هي أول ما أنزله الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل على رسوله الكريم ثم علّمه في حينها الطهارة والوضوء والصلاة ركعتين ركعتين.

والرواية الشيعية التي غيبها مؤرخو ومفسرو القرآن الكريم من أهل السنة هي الأخرى تعبّر عن نفس الحالة التي

كان عليها رسول الله ﷺ عندما جاءه الوحي الألهي. فقد كان مطمئناً لما قاله المَلَكُ جبرئيل وأنه بعد مغادرة المَلَكُ عاد رسول الله الى غنمه التي كانت لعمه أبي طالب. ثم عاد الى زوجته مطمئناً ومسروراً، مشيراً الى أن الملك الذي كان يأتيه في المنام منذ أن كان عمره ﷺ سبعاً وثلاثين سنة قد جاءه ذلك النهار وأبلغه بأن الله سبحانه وتعالى قد اختاره رسولاً. والملفت للنظر ان الروايات الشفاهية السابقة جميعها قد غيبت روايات أو أحاديث من هو قريب جداً من رسول الله وأول رجل آمن برسالة السماء وأول رجل صلى الصلاة مع رسول الله بعد ان علّمها الملك جبرئيل ﷺ لرسول الله ﷺ. فالمتفق عليه ان رسول الله وخديجة وعلي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد صلّوا خلف رسول الله ﷺ الصلاة ركعتين ركعتين كما علّمها إياه جبرئيل ﷺ. ذلك هو الإمام علي ﷺ الذي ارتبط برسول الله ارتباطاً أخوياً وثيقاً ضمن عائلته ﷺ وخلال جميع مسيرة الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة، وأسهم في جميع أعمال

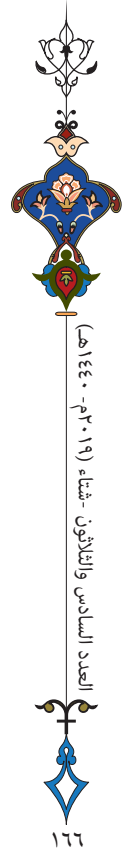
وغزوات الرسول ﷺ عدا واحدة، وكان كاتباً للوحي وواحداً من أهل الفتيا والفقه ومن حفظة القرآن الكريم وزوج ابنته فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم. وكان شاهداً لكثير من حالات نزول الوحي، وقربه الروحي والشخصي لأنه زوج فاطمة الزهراء عليها السلام وأم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ابنه اللذين عدّهما رسول الله بمثابة ابنائه؛ وغيرها كثير من الخصائص والخصال التي تؤهله لأن يروي رواية موضوعية وموثوقة عن مبعث الرسول ﷺ والوحي ونزول القرآن. لكن شيئاً من هذا كله لم يترك أثراً عند المؤرخين ومفكري القرآن الكريم من أهل السنّة، حقيقة إن الإعلام الإسلامي بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يهتم برواية الإمام علي ﷺ؛ وإن السلطة السياسية والمجتمع الإسلامي لم يستفد كثيراً من تجاربه ووعيه وعلمه وحكمته وحسن تدبيره للأمر، ولا سيما عدالته مع نفسه ومع عائلته ومع الشؤون العامة السياسية والدينية والاجتماعية والعسكرية، ولم ينتفع من علمه وحفظه

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

ذاته للإشعاع العلمي والديني. ومع كل الأسف أن يتلف المجتمع الإسلامي وبالأخص سلطته السياسية الرواية التي سمّاها معاوية بن أبي سفيان رواية أبي تراب، أي رواية الإمام علي عليه السلام، فلم يبق منها شيء مهم عدا ما أورده أبان بن عثمان البجلي الأحمر وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام والذي كتب كتابا بخمسة أجزاء عن السيرة النبوية، لكن مع كل الأسف أيضا فقد ضاع هذا الكتاب الضخم والمهم أو ضيّع من قبل العباسيين قتلة الأئمة الأطهار عليهم السلام، حتى لم يبق منه سوى روايات اعتمدها اليعقوبي في تاريخه والشيخ الطبرسي في كتابه (إعلام الوري) وغيره من المؤلفين ومفسري القرآن الكريم من الشيعة.

والحقيقة فهناك روايات شيعية تبين بأن الإمام كان مع ابن عمه رسول الله يريان الغنم في شعاب الجبال حينما رأى النبي صلى الله عليه وآله شخصا يناديه باسمه فسأله النبي من يكون فأجابه الشخص بأنه جبرئيل وبأن الله أرسله له ليتخذه رسولا. فيروي الإمام عليه السلام في رواية أوردها

للقرآن الكريم شفاها وكتابة، فإنه أول من دوّن المصحف الذي سلّمه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله قبيل موته. مع كل الأسف على كلّ ما فات في عصره وعلى ما نحن فيه في أمورنا المعاصرة. هذا هو ديدن المجتمعات التي تلبس دوما لباس الرياء والدجل والاحتيال، وتمتقت السليم والصحيح، وتمتقت العدل والمساواة بين البشر، إنها طبيعة الإنسان البائس المتعصب والكاره والفاسد. ألم يكن خالد بن عبد الله القسري أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان إنموذجا حقيقيا لتفكير مجتمع، مجتمع الرياء والمقت والكراهية. إذ إنه، أي خالد، حينما طلب من الزهري أن يكتب له كتابا في السيرة النبوية، ردّ الزهري مستفهما وإن كان لعلي بن أبي طالب دور فيها فأجاب بسرعة وببديهة اللؤماء والمنبوذين "إلا أن تجده في قعر الجحيم"! لكن شاءت الحياة أن ينطمر خالد ومن على شاكلته وكانوا كثر في قعر الجحيم ويبقى الإمام علي عليه السلام مرجعا للإسلام الحنيف ومركزا بحدّ



البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) وسندها الآتي:- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو محمد بن أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا يوسف بن موسى قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا يوسف بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن عبد الله [هو عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي] عن علي بن أبي طالب قال "كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له: السلام عليك يا رسول الله" (٤٠). وروى الشيخ الطبرسي رواية أخرى عن طريق أبي الحسن بن بشران عن محمد بن العلا عن السدي عن عباد قال سمعت علياً عليه السلام يقول «لقد رأيته أدخل معه -يعني مع النبي ﷺ- الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال: السلام عليك يا رسول الله، وأنا اسمعه» (٤١). فهذه الروايات القليلة قد استخدمت في كتاب دلائل النبوة حول موضوع واحد لكنه (٤٠) ينظر الشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي: إعلام الوری بأعلام الهدى؛ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت جزء ١ ص ١٠٤. (٤١) م. ن. نفس الصفحة.

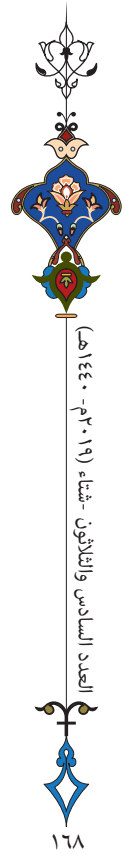
مهم جداً انه أعقب عملية نزول الوحي وتقبل رسول الله ﷺ رسالة الباري عز وجل في الوادي وأنه على اثر منصرفه عائداً إلى منزله لاحظ ان الحجر والشجر كانت تحييه بتحية السلام عليك يا رسول الله. فمن المؤكد ان الامام قد نقل رواية الوحي كما حدثه بها رسول الله شخصياً وربما كان الإمام برفقته آنذاك غير ان مثل هذه الروايات قد غيبت أو تلفت فلم تصلنا مع الأسف الشديد. ويقدم لنا أحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى ٢٩٢ هـ / ٩٠٤، الذي كانت ميوله شيعية، رواية لم تذكر في المؤلفات التاريخية والتفسيرية السنية بشأن المبعث النبوي جاء فيها «وبعث رسول الله ﷺ لما استكمل أربعين سنة، فكان مبعثه في شهر ربيع الأول، وقيل في رمضان، ومن شهور العجم في شباط. وكانت سنته التي بعث فيها سنة قرآن في الدلو. قال، ما شاء الله، الحاسب: كان طالع السنة التي بعث فيها رسول الله ﷺ وهو القرآن الثالث من قرآن ﷺ مولده السنبلة أربع درجات ١٣٣، والقمر في الميزان سبع عشرة درجة،

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... **المصباح** •

والمريخ من الطالع في السنبلة ثلاث عشرة درجة راجعاً، والمشتري في الخامس في الجدي إحدى وعشرين درجة، وزحل في الدلو في السادس في تسع درجات حدّ الزهرة في الحوت، والشمس في الثامن في الحمل دقيقة، وعطارد في الحمل أربع عشرة درجة، وحدّ مدخل السنة منذ أول يوم دخلت فيه الشمس. وقال الخوارزمي: كانت الشمس يومئذ في الدلو أربعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة، والقمر في السرطان سبع عشرة درجة، وزحل في الدلو تسع عشرة درجة، والمشتري اثنتي عشرة درجة، والمريخ في الحوت خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة، والزهرة في الحمل إحدى عشرة درجة، وعطارد في الدلو ثلاثاً وعشرين درجة وكان جبريل يظهر له فيكلمه. وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر من ذلك رسول الله، ثم قال له: أن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان، فكان أول أمره. فكان رسول الله ﷺ يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ما سمع وتكلم به. فتقول له: استريا ابن عم، فوالله

إني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً. وأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الإثنين، وقال بعضهم يوم الخميس، وقال من رواه عن جعفر بن محمد [يفهم من يعقوبي هاهنا إن للإمام الصادق عليه السلام رواية بشأن المبعث النبوي] يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين وعلى جبريل جبة سندس وأخرج له درنوكة من درانيك الجنة فأجلسه عليه وأعلمه أنه رسول الله ﷺ وأبلغه عن الله وعلمه: أقرأ باسم ربك الذي خلق. وأتاه من غد وهو متدثر، فقال يا أيها المدثر قم فأنذر. وقال رسول الله: أول ما نهاني عنه جبريل بعد عبادة الأصنام ملاحاة الرجال. وروى بعضهم أن إسرائيل وكل به ثلاث سنين وأن جبريل وكل به عشرين سنة (٤٢). إلا أن يعقوبي لم يذكر سلسلة إسناده، وعلى الأرجح إنه اقتبسها من كتاب أبان بن عثمان البجلي الأحمري، فقد أسند روايته الى من رواها عن الامام جعفر بن

(٤٢) ينظر تاريخ يعقوبي، دار مصادر، بيروت ج ٢ ص ٢٢-٢٣.



محمد ﷺ من دون ان يذكر اسمه، ولكنه كان أبان بن عثمان البجلي الاحمر المتوفى في الربع الاخير من القرن الثاني للهجرة. وكان أبان هذا من رواة أحاديث الائمة لاسيما الصادق ﷺ فكان من اصحابه ونقل الكثير من الروايات عنه اما مباشرة او من خلال شيوخه الآخرين^(٤٣).

وقد اعتمد العلماء الشيعة رواية مخالفة تماما للرواية الزيرية كالتي تقدم ذكرها في تاريخ اليعقوبي، فالعالم علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المتوفى في سنة ٣٢٩ هجرية، وهو راوية وفقيه ومفسر شيعي له التفسير المشهور بـ(تفسير القمي)، والذي يعدّ من

(٤٣) ينظر ينظر الشيخ الطوسي، الامالي طبعة اولى، مطبعة دار الثقافة رقم ١٤١٤ هـ، بالفهرست طبعة اولى ١٤١٧ مؤسسة النشر الاسلامي، ص ٥٩، العلامة الحلي: خلاصة الاقوال، طبعة ثانية ١٣٨١، المطبعة الحيدرية النجف ص ٧٤، جعفر بن رسول: سيرة سيد الانبياء والمرسلين، نقله الى العربية علي هاشم الاسدي، مشهد، ص ٩٢-٩٣؛ وله ايضاً (إعداد) المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة لأبان بن عثمان الاحمر، طبعة اولى، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم ١٤١٧، ص ١٠، ٤٢-٤٣.

أشهر رواة الشيعة وأبرزهم روى رواية المبعث النبوي الشريف بحسب الآتي:
فذكر علي بن إبراهيم «أن النبي ﷺ لما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتيا أتاه فيقول يا رسول الله. وكان بين الجبال يرعى غنما فنظر الى شخص يقول له يا رسول الله فقال له من أنت قال جبرئيل أرسلني الله ليتخذك رسولا. وكان رسول الله ﷺ يكتم ذلك فأنزل جبرئيل بقاء من السماء فقال يا محمد فتوضأ فعلمه جبرئيل الوضوء على الوجه واليدين من المرفق ومسح الرأس والرجلين الى الكعبين وعلمه الركوع والسجود فدخل علي الى رسول الله ﷺ صلوات الله عليهما وهو يصلي. وهذا لما تم له ﷺ أربعون سنة فلما نظر اليه قال يا أبا القاسم ما هذا قال هذه الصلاة التي أمرني الله بها فدعاه الى الإسلام فأسلم وصلى معه وأسلمت خديجة فكان لا يصلي إلا رسول الله ﷺ وعلي ﷺ وخديجة عليها السلام خلفه فلما أتى لذلك أيام دخل أبو طالب الى منزل رسول الله ﷺ ومعه جعفر فنظر الى رسول الله ﷺ وعلي بجنبه

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن المصباح

يرجع سندها بالحلقة النهائية الى الإمام علي عليه السلام جاءت عن طريق أبان بن عثمان البجلي الأحمر أو الأحمر في كتابه الضائع (السيرة النبوية) وهي كالآتي: - أبان بن عثمان عن محمد بن مروان الذهلي عن محمد بن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام. فحلقتها النهائية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام عن جده الإمام زين العابدين عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام قال «تراءى لرسول الله صلى الله عليه وآله جبريل بأعلى الوادي وعليه جبة من سندس، فأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فأجلسه عليه، ثم أخبره أنه رسول الله إليه، وأمره بما أراد أن يأمره به، فلما أراد جبرئيل عليه السلام أن يقوم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بطرف ثوبه قال له: «ما اسمك؟. قال: جبريل، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله، فلحق بالغنم فما مرّ بشجرة ولا مدرة إلّا سلمت عليه وقالت: السلام عليك يا رسول الله «وكان يرفع غنما لأبي طالب عمه» (٤٥).

(٤٥) ينظر السيد يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن

يصليان فقال لجعفر يا جعفر صل جناح ابن عمك فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى بعض أسواق العرب فرأى زيدا فاشتراه لخديجة ووجده غلاما كيسا فلما تزوجها وهبته له فلما نبى رسول الله صلى الله عليه وآله زيد أيضا فكان يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وآله علي وجعفر وزيد وخديجة» (٤٤).

ولم يكشف القمي عن مصدر معلومته تلك لكنه يعدّ من أجل الرواة الشيعة. وهناك رواية مماثلة أيضا رواها يحيى بن الحسين الزيدي وردت في كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب لمؤلفه يحيى بن الحسين الزيدي المتوفى سنة ٤٢٤ هجرية

(٤٤) ينظر الطبرسي، الفضل بن الحسن: إعلام الوري بأعلام الهدى (صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ص ٥٣؛ ابن شهر آشوب؛ محمد بن علي؛ مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة دكتور يوسف البقاعي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ١٩٩١، دار الأضواء، جزء ١ ص ٧١؛ المجلسي؛ محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الكتاب السادس: تاريخ نبينا وأحواله صلى الله عليه وآله، قم المقدسة ١٣٨٨ هجرية ص ٦٤٨.

وللتأكيد فقد ذكر الفقيه المحدث والمفسر قطب الدين ابن هبة الدين الراوندي المتوفى في سنة ٥٧٣ هجرية في كتابه (الخراج والجوائح). وهو من محدثي ومفكري ومتكلمي وفقهاء وفلاسفة ومؤرخي الشيعة في القرن السادس الهجري. كما وأنه كان من تلامذة الشيخ الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان، وله تأليفات عديدة أشهرها كتاب الخراج والجوائح، ويعتبر ابن شهر آشوب المازندراني والشيخ منتخب الدين الرازي من أبرز تلامذته. في باب معجزات رسول الله ﷺ حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه «قال الصادق عليه السلام نشأ رسول الله ﷺ في حجر أبي طالب حتى إذا بلغ قريبا من العشرين سنة قال: يا عمّ إني أرى في المنام رجلا يأتيني ومعه آخر فيقولان: «هو هو،

القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رتبته على الأبواب القاضي جعفر بن محمد بن عبد السلام، تحقيق: عبدالله بن حمود العزي، الناشر: مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية الطبعة: الاولى ١٤٢٢ هجرية/ ٢٠٠٢ م ص ٥٢- ٥٣؛ د. جعفران، تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص ٢٦.

فاذا بلغ فشأنك به» والرجل لا يتكلم، ثم قال: يا عمّ إني قد رأيت الرجل -الذي كنت أراه في المنام- قد ظهر لي. فانطلق به أبو طالب الى عالم كان بوادي مكة يتطبب، فصوّب الرجل في بصره وصعد، وأخبره رسول الله ﷺ بما يرى. فقال الطبيب: يا بن عبد مناف إن لابن أخيك شأنًا، إنّما هذا الذي يجد ابن أخيك الناموس [الأكبر] الذي يجده الأنبياء. ومن المناسب ذكره هاهنا أن الصالح الشامي المتوفى في سنة ٩٤٢ هجرية في كتابه المتعدد الأجزاء الموسوم (سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) أورد رواية لم يتردد ذكرها في المؤلفات التاريخية والتفسيرية لأهل السنة معتمدا في هذه الرواية على عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رواه الدولابي المتوفى في سنة ١٣٥ هـ؛ ان عبد الله بن أبي بكر من الرواة الأوائل الذين اهتموا برواية الأحاديث المتعلقة بالسير والمغازي، حتى عدّه الذهبي بأنه من أصحاب المغازي. لقد كانت تلك الأحاديث التي جمعها عبد

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

وقال: يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الرئي من الشيطان ولكنه من النواميس الذين يتحسسون القلوب للنبوّة. فرجع به»^(٤٦). ولعل رواية هذه الرواية قد أخذها من مصدر أو رواية مغايرة للرواية الزبيرية لكونها تشابه في فحواها مع رواية قطب الدين الراوندي الشيعي.

كذلك وردت رواية في كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب لمؤلفه يحيى بن الحسين الزيدي المتوفى سنة ٤٢٤ هـ جرية يرجع سندها بالحلقة النهائية الى الإمام

(٤٦) قطب الدين الراوندي: الخرائج والجوائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه قم المقدسة (٣٩) الجزء الأول ص ٨٣؛ ينظر عن قطب الدين الراوندي القمي، الكنى والألقاب، ج ٣، ص ٧٢. ينظر الصالحى الشامي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد؛ محمد بن يوسف الصالحى الشامي (المتوفى: ٩٤٢ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ٢ ص ٢٣٢.

الله بن أبي بكر النواة التي اعتمد عليها بعد ذلك كُتّاب السيرة النبوية، وقد نقل عبد الله هذه الأحاديث عن زوجته فاطمة بنت عمارة عن خالة أبيه عمرة بنت عبد الرحمن عن زوجة النبي محمد عائشة بنت أبي بكر، ونقلها عنه ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري، وشملت أخباراً تتعلق ببداية حياة النبي محمد، ووفود القبائل عليه وأخبار حروب الردة ونصّ الرواية التي تهّم هذه المسألة هو: «أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة - وفي رواية: الصادقة - في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فرأى وهو بمكة أن آت أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا: هو هو ولم يأن له بعد. فهاله ذلك وذكره لعمه فقال: يا بن أخي ليس بشيء، حلمت. ثم رجع إليه بعد ذلك فقال: يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى أجد بردها. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطيب بمكة فحدثه حديثه وقال عاجله فصبوب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه

علي عليه السلام جاءت عن طريق أبان بن عثمان البجلي الأحمر أو الأحمر في كتابه الضائع (السيرة النبوية) وهي كالآتي: - أبان بن عثمان عن محمد بن مروان الذهلي عن محمد بن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام. فحلقتها النهائية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام قال «تراءى لرسول الله ﷺ جبريل بأعلى الوادي وعليه جبة من سندس، فأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فأجلسه عليه، ثم أخبره أنه رسول الله إليه، وأمره بما أراد أن يأمره به، فلما أراد جبرئيل عليه السلام أن يقوم أخذ رسول الله ﷺ بطرف ثوبه قال له: «ما اسمك؟». قال: جبريل، فقام رسول الله ﷺ، فلحق بالغنم فما مرّ بشجرة ولا مدرة إلّا سلمت عليه وقالت: السلام عليك يا رسول الله «وكان يرعى غنما لأبي طالب عمه» (٤٧).

(٤٧) ينظر السيد يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رتبه على الابواب القاضي جعفر بن محمد بن عبد السلام، تحقيق:

ومن معجزات رسول الله ﷺ بحسب كتاب الخرائج والجوائح أن جبرئيل أت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فغمز [وفي رواية أخرى فهمز] بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين، فتوضأ ليريه كيف وضوء الصلاة، ثم تطهر رسول الله، ثم صلى جبرئيل وصلى رسول الله، وإنها الظهر، فهي أول صلاة فرضت. فرجع رسول الله إلى خديجة، فأخبرها، فتوضأت وصلت (٤٨).

ومنها، أي [من معجزاته عليه الصلاة والسلام] أن أبا عبد الله عليه السلام قال: لما بلغ

عبدالله بن حمود العزي، الناشر: مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية الطبعة: الاولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ص ٥٢ - ٥٣ د. جعفران، تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص ٢٦.

(٤٨) ينظر قطب الدين الراوندي: الخرائج والجوائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام في قم المقدسة جزء ١ ص ٨٣ - ٨٤؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي: اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ أو الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان الطبعة: الثانية ١٩٨٨، ص ١٢٦؛ المجلسي: بحار الأنوار؛ كتاب تاريخ نبينا ص ٦٣٧.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... المصباح

رسول الله ﷺ أربعين سنة قال: سمعت صوتاً من السماء: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل، ولما تراءى له جبرئيل بأعلى الوادي، وعليه جبة سندس، أخرج درنوكة من درانيك الجنة، وأجلسه عليه، وأخبره أنه رسول الله، وأمره بما أراد، ثم قال: أنا جبرئيل، وقام، فليق محمد ﷺ بالغنم، وكان يرعى غنم عمه أبي طالب. قال: فما من شجرة ولا مدرة إلا سلّمت عليّ وهنأتني (٤٩).

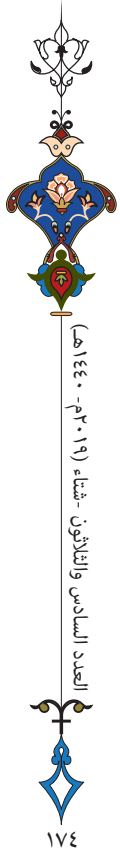
وروى مؤلف الخرائج والجوائح رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها «كنت مع رسول الله ﷺ فخرج في بعض نواحيها، فما بقي شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله» (٥٠).

وجاء في كتاب الطبرسي أن «جبرئيل نزل على أجياد أصفر والنبي ﷺ بين علي وجعفر، فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ولم ينبهاه إعظاماً له، فقال ميكائيل: إلى أيهم بعثت؟ قال:

(٤٩) ينظر الخرائج والجوائح جزء ١ ص ٨٣.
(٥٠) م. ن. جزء ١ ص ٤٦.

إلى الأوسط، فلما انتبه أدى إليه جبرئيل الرسالة عن الله تعالى، فلما نهض جبرئيل ليقوم أخذ رسول الله ﷺ بثوبه، ثم قال: «ما اسمك؟»، قال: جبرئيل، ثم نهض النبي ﷺ، ليلحق بقومه، فما مرّ بشجرة ولا مدرة إلا سلّمت عليه وهنأته، ثم كان جبرئيل يأتيه ولا يدنو منه إلا بعد أن يستأذن عليه، فأثاه يوماً وهو بأعلى مكة، فغمز بعقبه بناحية الوادي، فانفجر عين فتوضأ جبرئيل وتطهر الرسول ثم صلى الظهر، وهي أول صلاة فرضها الله تعالى، وصلى أمير المؤمنين علي عليه السلام مع النبي ﷺ، ورجع رسول الله من يومه إلى خديجة، فأخبرها فتوضأت وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم» (٥١).

والأكثر أهمية هو ما رواه القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) من رواية نادرة بشأن الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ في كتابه (أحكام القرآن). ففي تعقيبه على سورة العلق قائلاً ما نصّه «الْقَوْلُ: فِي



أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:
الْأَوَّلُ: هَذِهِ السُّورَةُ؛ قَالَتْهُ عَائِشَةُ، وَابْنُ
عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَغَيْرُهُمْ. الثَّانِي: أَنَّهُ
نَزَلَ {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}؛ قَالَهُ جَابِرٌ. الثَّالِثُ:
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: أَوَّلُ مَا
نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام:
١٥١]. والرَّابِعُ قَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ الهمدانيُّ:
أَوَّلُ مَا نَزَلَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ.

إذن فإن الروايات الشيعية المذكورة
في أعلاه لا بدّ أنها قد أشارت الى أن
الملك جبرئيل قد أنزل علي رسول الله صلى الله عليه وآله
آيات من الذكر الحكيم وهو يعلمه أن الله
سبحانه وتعالى قد اختاره رسولا وقبل أن
يعلمه الصلاة؛ وأن هذه الآيات هي من
سورة الأنعام التي تبين وصايا الله سبحانه
وتعالى في دعوة الرسول الناس للإسلام
وهي الآيات ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ إِلَّا قُشْرُكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهَاكُمْ وَلَا
تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطْنٌ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَعَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥٢)؛
وقد أكد ما قاله ابن عربي القرطبي في
كتابه (كتاب الجامع لأحكام القرآن
والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)
في تفسيره لسورة العلق والآراء المختلفة
بين العلماء حول السورة الأولى التي نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ما نصّه:

«قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾
هذه السورة أول ما نزل من القرآن
في قول معظم المفسرين نزل بها جبرئيل
على النبي صلى الله عليه وآله وهو قائم على حراء، فعلمه
خمس آيات من هذه السورة.
وقيل: إن أول ما نزل (يا أيها المدثر)؛
قاله جابر بن عبد الله، وقد تقدم.
وقيل: فاتحة الكتاب أول ما نزل؛ قال
أبو ميسرة الهمداني.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أول ما
(٥٢) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن
العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى:
٥٤٣هـ)؛ أحكام القرآن) راجع أصوله
وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد
القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية،
بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة،
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ جزء ٤ ص ٤١٨.

جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... (المصباح)

الله ﷺ بأن الله قد اختاره رسولا وهو يفرش درنوكا من درانيك الجنة لرسول الله، ولعلها قد أغفلت ذلك أو أن مؤلفي تلك الكتب التي نوهنا عنها لم يشيروا إلى الآية تلك ربما بحجة خشيتهم أن يؤثر ذلك على الرواية السائدة والمهيمنة ألا وهي الرواية الزبيرية التي تقول بنزول الخمس آيات الأولى من سورة العلق وأنها الآيات الأولى التي نزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم. مع ذلك فأن هذين التفسيرين لا يبرران أبدا عدم ذكر المؤرخين والمفسرين الشيعة للآية من سورة الأنعام التي تتضمن وصايا مهمة من الله سبحانه وتعالى بخصوص الممارسات والعادات السيئة التي كانت مستشرية في المجتمع، مجتمع المشركين المكين والمجتمع الجاهلي بشكل عام. في الوقت الذي شخص فيه ابن عربي القرطبي والقاضي المعافري الأشبيلي المالكي قول الإمام علي بأن الملك جبرئيل أنزل على رسول الله ﷺ الخمس وصايا التي تضمنتها آية رقم ١٥١ من سورة الأنعام.

نزل من القرآن ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].
والصحيح الأول: قالت عائشة:
أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة (٥٣).

فهاتان الروایتان على الرغم من أهميتهما في إبراز الاختلاف والجدل بين العلماء حول هذه المسألة المهمة جدا، لكنهما لم يكشفوا عن مصادر معلوماتهما ولعلها كانت مصادر شيعية. والسؤال المهم الذي تثيره هاتين الروایتين هو لماذا لم تذكر الروايات الشيعية السابقة الذكر في أعلاه ما الآية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى بحسب رواية الإمام علي عليه السلام في الوقت الذي تم ذكره عند المفسرين من أهل الأندلس.

حقيقة أن الروايات الشيعية المتقدمة لا تشير إلى الآية أو الآيات التي علمها أو أنزلها الملك جبرئيل عندما أبلغ رسول

(٥٣) القرطبي المتوفى سنة ٦٧١، كتاب الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي جزء ٢٢ مؤسسة الرسالة ٢٠٠٦، ص ٣٧٤.

